أنثى من قلق

ديوان العرب للنشر والتوزيع

اســـم الكتاب: أنثى من قلق
اســـم المؤلف: د. زينب حلبي
التصنيـــــف: رواية
الحجـــــم: 14 - 20
عدد الصفحات: 148
سنة الإصـدار: 2025
رقـــم الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: 15643 / 2025
الترقيم الدولي: 978 - 977 – 971 – 222 – 2

تدقيـــق لغوي: فريق ديوان العرب
تصميم غـــلاف: شيماء منير
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب
للتواصل: dewanalarabegypt@gmail.com
واتساب: 01030502390

أنثى من قلق

د. زينب حلبي

إهداء

أهدي روايتي إلى كل دار نشر اقتنعت بأعمالي وبما أكتب ونشرت لي مؤلفاتي فساهمت بالفضل في بزوغ فجر انتشار أعمالي وبلوغي مرتبة الرضا عما قدمتُ حتى الآن من إصدارات وأخص بالذكر دار ديوان العرب للنشر والتوزيع فلها أعظم الفضل في نشر عدد كبير من كتبي وأتمنى أن تظل كالشمس التي تهدي الكتاب والمؤلفين إلى غايتهم.

د. زينب حلبي

****

1- أنثى من قلق

ما إن دخلتُ إلى غرفتي في الفندق إلا وقد حدث ما لم أكن أتوقعه، فقد وجدتُ على الفراش طفلة صغيرة عمرها لا يتعدى ثمانية أعوام، زرقاء الوجه مختنقة بوشاح أسود، فصرختُ من الصدمة.....

كانت الطفلة المختنقة ملقاة على الفراش بطريقة توحي بأن من فعلها كان متعجل من أمره، ألقاها ثم لاذ بالفرار، أو هكذا تخيلتُ، حين صرختُ بصوت خافت من أثر الصدمة، ولم يجبني أحد، فكرتُ للحظة أنني قد أُتهَم بقتلها وأن التحقيق معي يعد أمرا لا شك فيه. ما مر بي بعدها لا يمكن تخيله....

البداية

فوق رماد الماضي تتمدد كلمات لم تقال، وابتسامات مليئة بالشجن، كم تهافتت الدموع للقاء وكم خافت القلوب من الرحيل، فتضاعف الألم، وترددت نبضات القلب للتراجع، أو حتى تباطؤ الرحيل، بلا جدوى. انهارت على قارعة الطريق عهودا ووعودا ولحظات سعادة حقيقية.

كانت الأيام تتوالى وتعجل بالرحيل، بينما يذيب الخوف أخر شعاع أمل في النجاة. وكان الفراق، وصار الألم رفيقا لا يخون، وتستمر المأساة.

نكصَتْ فريدة عائدة من حيث أتت والدموع تغرقُ وجنتيها، مع كل خطوة تخطوها تتذكر متى تراجعت من قبل، وكيف رفضت الرحيل مرات ومرات، ليس ذنبها أنها وحيدة ولا إخوة لها في العالم، ولا حتى صديقات.

ليس ذنبها أن مرام ابنة عمها كانت النور الذي ترى به الدنيا. منذ أن فتحت عينيها على العالم وهي تحبها وتتبعها، ولا تتحمل فراقها ولو ليومٍ واحد.

كلما طرأ لمرام ما يمنعها عن الحضور إلى المدرسة، غابت فريدة مثلها حتى لا تبقى في الفصل الدراسي بدونها، فتشعر بالوحدة وبذُل الاحتياج إليها أثناء غيابها.

توقف العالم في ناظريها يوماً حين علمت أن عمها إبراهيم قرر الانتقال للعيش في الإسكندرية، وبالطبع ستكون أسرته بمرافقته، وكذلك مرام.
شعرت أن الأرض تنهار تحت قدميها حين تخيلت مقعدها في الفصل الدراسي خالياً منها، لم تجرؤ على التحدث مع أحد عما تشعر به، فقد كانت والدتها دائمة السخرية من كلامها وأفعالها، ولا سيما حين تعلم بضعفها، فستكون هي أول من يلومها، ويخبرها أن تكف عن إنسانيتها البلهاء.
وكأن لها يد في سذاجة طباعها، وفطرتها التي فطرها الله عليها.
قضت أكثر من ثلثي عمرها بجانب صديقتها وابنة عمها، فكيف ستنسى عشرة أعوام من عمرها؟ فقد مرت وكأنها لحظة واحدة الآن.
ظلامٌ يحتل نفسها رويدا رويدا، حتى صارت تشعر بأن الليل غطى بعباءته غرفتها، وأخذت تفكر كيف يمكنها إيقاف الزمن، أو إرجاعه لتظل مع مرام عدة أيام أخرى ترافقها في المكتبة كما كانت تفعل سابقا، شعرت أن الأرض تميد بها كلما تخيلت أنها ستُحرم من اليد التي تمسح دموعها، والقلب الذي يقلق عليها إذا ظهر الحزن على مُحياها. قالت في نفسها:
ألا يدري عمي أي نفسٍ تلك التي ستتألم أو ستُفقَد بسبب قرارهِ، ألم يخطر بباله أن أحد القلوب سيتحطم من جراء الفراق بسببه، للأسف لا أحد يشعر بي.

وزاد من ألمها أنها لم تجد مرام تعاني مما عانت هي منه، بل كانت متوافقة مع فكرة الانتقال مع أسرتها.

احتضنت وسادتها ونامت في الظلام حتى اليوم التالي.....

وبدأت بوادر القلق تجتاح نفسها منذ ذلك الحين.

تدافعت الدموع من مقلتيها، حين رأت مرام تغادر البناية السكنية التي عاشت فيها الأسرتين سنينا طويلة، وفريدة لا تملك حق منعها أو حتى إبداء الاعتراض على فراقها، فهي مَن تكون، وبأي صفة تجرؤ على الاعتراض.

دخلت حجرتها وانكمشت على التخت كطفلة صغيرة فقدت والدتها، أخبأت عيونها بالوسادة وحاولت منع دموعها، فباءت محاولتها بالفشل. ثم اندفعت شلالات الدموع تغرق وجهها في الظلام.

لم يفتقدها أحد من أفراد أسرتها، ولم تسأل عنها والدتها، فهي في الحقيقة لا تدرك مدى تعلق فريدة بابنة عمها، ولم تقترب منها لدرجة أن تعرف سويداء قلبها.

تعودت أن تكون كماً مهملاً، ظلت حتى اليوم التالي في الفراش، وفى الصباح سألتها والدتها لماذا لم تُعِد حالها للذهاب إلى المدرسة، فأخبرتها أنها تعاني صداعاً شديداً ستفقد معه القدرة على التركيز، ولذلك ستبقى بالمنزل ولن تبارحه اليوم.

لم تعترض أمها، ولم تطلب منها حتى أن تتناول مسكن للصداع، بل تركتها وغادرت المنزل إلى عملها. لم تبغضها أمها، ولكنها لم تجيد إبداء مشاعرها لابنتها.

بعد الظهر دق جرس الباب وكانت زميلتها أريج بالخارج. فقد لاحظت غيابها عن المدرسة، فقررت المرور عليها للاطمئنان على صحتها.

أدخلتها والدتها حجرة الصالون، ثم دخلت لكي تخبر فريدة عن ضيفتها.

فتحاملت على نفسها ونهضت من الفراش ثم ذهبتُ إلى أريج.

فقالت أريج:

_سلامتك، لماذا غبتِ اليوم عن المدرسة؟ لقد فاجأنا معلم اللغة العربية باختبار، وقد سأل عنكِ.

_كنتْ متعبة ولم أستطع الحضور، هكذا سأكون أنا الراسبة في الفصل لهذا الشهر.

_أبداً. بسيطة، سنخبره أنك كنتي مريضة لكي يعيد الاختبار لكِ

_هل هذا ممكن؟

_نعم طالما لديكِ سبب قوي للغياب، دعيني أرى عينيكِ إنها حقا حمراء. ما بكِ يا فريدة؟ يبدو أنكِ بكيتي كثيرا.

_لا ربما البرد قد أصابني سأكون بخير غدا إن شاء الله.

_ألف سلامة عليكِ في انتظارك في المدرسة غدا.

فنظرت لها فريدة بتعجب، وكأنها غير مصدقة أن أحداً يفتقدها، فقالت إن شاء الله سآتي إلى المدرسة.

انصرفت أريج بينما جلست فريدة بالحجرة وحدها؛ تجمع شتات نفسها، ثم نهضت وتوضأت وصلت الظهر فارتاح فؤادها قليلا.

لمحتها نجوى والدتها، فنظرت لها وكأنها تراها لأول مرة منذ عام، فقالت لها:

_ماذا بكِ؟ لونكِ باهت وعيونكِ ذابلة، هل أنتِ مريضة؟

_لا. أنا فقط أشعر بالهبوط والإعياء.

_هيا اغسلي وجهك، وتناولي الطعام حتى تستطيعي المذاكرة.

فنفذت فريدة ما اقترحته عليها، وبدأت تتخذ قراراً في نفسها بعد حوار طويل معها، وكأن عقلها توصل لذلك القرار لكي ينقذها من الضياع، والخواء الذي تشعر به بداخلها.

فقررت ألا تتعلق بأي إنسان في الدنيا بعد ذلك، وأن تكون علاقاتها سطحية مستقبلا.

عادت إلى مدرستها، وشيئا فشيئا اختلطت بزميلاتها في الصف الدراسي بدون تعمق، وركزت جُل وقتها على دراستها حتى تفوقت فيها وحصلت على مجموعا جيداً في الثانوية العامة أهلها للالتحاق بكلية الآثار التي لم تفكر بها يوما.

تعلمت ألا تثق، ألا تصدق أن هناك علاقات لا تقوم على المصلحة، تعلمت الخوف على ما تملك، والتضحية بكل راحة واطمئنان لحماية منجزاتها.
تربعت على عرش القلق بامتياز.
سألها أحد أساتذتها في الجامعة يوما:
لمَ كل هذا القلق المخفي بداخل عيونك برغم مظهركِ الهادي!
ارتبكت وتلعثمت ولم ترد. ولكنها ارتدت قناعا يوحي بعدم المبالاة برغم اندلاع نيران الوحدة واليأس في قلبها.
كانت تتمنى لو نسيت ماضيها بكل ما تعرضت إليه من معاناة وتجاهل. لم تصادف خلال حياتها ولو إنسان واحد يفهمها ويحنو عليها، الجميع رآها بلا ميزة تجذب الانتباه، عادية، بل ربما لا تُرَى أحيانا، وكأنها لابد أن تثير الجلبة حولها ليشعر الآخرون بوجودها..
وبرغم ذلك فوجئت بأستاذها في الكلية يتقدم إلى أسرتها لكي يخطبها، وحين أخبرها والدها غطت عينيها بيدها وقالت: لن أتزوج بهذه الطريقة، وأصرت على الرفض فرضخ والدها لرأيها ورفض.
لا أحد سوى الله يعلم ما مرت به. آلاف الخيبات، خذلان، خوف. وضياع.
تمنت لو دفنت رأسها بين أحضان والدتها في عناق طويل لتشعر فقط بالدفء، وبأنه يوجد من تحبها ولو مرة واحدة في حياتها.

كانت أمها تظهِر للناس خوفها عليها، ولا تظهره لصاحبة الشأن نفسها ظناً منها أن هذا تدليل قد يفسدها، فتتعجب فريدة من أفعال والدتها ويبكي قلبها أحيانا بلا صوت، حتى والدها لم يحنو عليها ولم يتخذها صديقة يوماً، كيف ستحاول أن تنسى أن مصدر الحنان الذي يحتاجه الإنسان في طفولته لم يوجد لديها، برغم أنها ليست يتيمة ولا مشردة.

انطبع في ذهنها مظهر قسوة والديها عليها، فبدأت تتناسى وجودهما، حتى عزمت على إسقاطهما من حساباتها في المستقبل قدر استطاعتها، وهي بقلبٍ جريح.

حاولت أن تكون قوية أمام أعاصير الحياة، حاولت الصبر ونسيان الأمر.

لم تنسَ نظرة التشفي في عيون والدتها يوم التحقت بكلية غير التي تمنتها، وكانت تعلن أمامها بكل صراحة أنها لم تتفاجأ بالنتيجة، ولم تحاول حتى مجاملتها.

تمنت أن يربت أحدهم على كتفها قائلاً الحياة ستستمر، ولن تقف على كلية معينة. لكنها لم تجد.

وبعد التخرج التحقت بالعمل كمعلمة لمادة التاريخ في إحدى المدارس الخاصة، ما إن رآها صاحب ومدير المدرسة حتى لفتت نظره بنظرة الحزن التي تسكن أحداقها، فعاملها بلطف أكثر من الباقين.

كان يرقبها من بعيد دون أن تشعر، فلم يرها تضحك ولو مرة واحدة، بل كانت دائما خائفة مضطربة، ينهشها القلق بسبب المسؤولية التي وُضعت على عاتقها، كان عملها يستلزم الحزم، ورباطة الجأش حتى لا تتعرض إلى السخرية من الطلبة ومن زملائها، وهي شخصيتها عكس ذلك تماما.

كانت تكره ضعفها، وخوفها وحيرتها، لكن لا تملك القدرة على التغيير.

كل يوم تقابل من يُشعرها بضعفها وكآبتها، وصمتها الطويل. حاولت التراجع عن العمل، لكنها كانت ستنال مصيرا من اللوم لا تتمناه، فتجنبت ذلك المصير أيضا.

الرحلة

في منتصف الدراسة نظمت المدرسة التي تعمل بها فريدة رحلة مدرسية إلى مدينة الأقصر، لتساعد التلاميذ على رؤية الآثار المصرية القديمة التي تم دراستها خلال العام الدراسي على الطبيعة. وكان من المهم أن تصحب فريدة الرحلة لتتمكن من شرح الآثار بدقة وتجيب عن أسئلة التلاميذ المتعلقة بما سيروا، وعندما عرض مدير المدرسة الأستاذ شريف الأمر على فريدة وأخبرها أنها سترافق المشرفين على الرحلة للشرح والتوضيح لم تمانع ولكنها ارتبكت قليلا، حيث إنها لم تتوقع هذه الرحلة ولم تزر تلك الأماكن من قبل. ولكنها أعدت العدة على إثبات أنها على قدر المسؤولية.

وفي يوم الرحلة المتفق عليه تجمع التلاميذ والمشرفين والمعلمات في حافلة ضخمة خاصة بالمدرسة، ومعهم حقائب الطعام والشراب وعلى أهبة الاستعداد للسفر، وسلك السائق طريقه إلى الأقصر، وقد استغرق عشرة ساعات حتى وصل إلى المدينة العريقة.

نزل الجميع في الفندق، واستراحوا ساعتين بعد تناول الغداء، ثم بدأ برنامج الرحلة بزيارة معابد الأقصر الشهيرة ومنها معبد حتشبسوت ومعبد الكرنك، ووادي الملوك، ووادي الملكات ومعبد الدير البحري ومقبرة حور محب، وغيرها.

وبدأ حديث فريدة معهم عن الأقصر كمدينة تضم ثلثي آثار العالم وتحتضن بين جنباتها تاريخ آلاف الأعوام التي سبقت الميلاد وسميت بمدينة الألف باب، وقد تم تحديثها وتركيب بوابات إلكترونية للمعابد بها لتجنب السرقة.

كان وفد الرحلة بما فيهم المشرفين والتلاميذ يتفقدوا كل أثر باهتمام، وبانبهار فلم يتخيلوا روعة الآثار القديمة والمهارة والدقة في صنعها، وتماثيلها الضخمة التي تقف شاهدة على مر الزمن على عظمة الحضارة المصرية القديمة. كما أعجبوا بالشرح المفصل الذي وافتهم به فريدة عن كل أثر، وكل معلم في المدينة، وبداخل معبد الدير البحري وقفت تشرح للتلاميذ براعة الفنان المصري القديم، وكانت أفواج السائحين بداخل المعبد تملأ المكان، وجذب شرح فريدة أحد المشرفات على فوج سياحي أمريكي، فطلبت المشرفة من فريدة أن تعاونها في الإجابة على أسئلة السائحين، ولاسيما بعدما علمت أنها خريجة كلية آثار، فرحبت فريدة بذلك وبدأت في الإجابة على الأسئلة بدقة ومهارة مما أسعد الفوج السياحي، وأسعد فوج الرحلة كذلك.

وطلب المسؤول عن الفوج السياحي عنوان المدرسة التي تعمل بها فريدة لكي يرسل إليها جواب شكر وتقدير، ويتم عمل بروتوكول تعاون مشترك بين المدرسة وبين شركة السياحة حين يتم زيارة معالم القاهرة والجيزة لتصحبهم فريدة مجددا. وخلال عودة فريدة إلى الفندق مع الرحلة صحبهم

المسؤول عن الفوج السياحي وأهداهم خصم كبير من الفندق على إقامتهم به التي استغرقت أربعة أيام.

وخلال ذلك أخبرهم أن العديد من الآثار المصرية يتم تهريبها إلى الخارج خاصة إلى أمريكا وإنجلترا، حيث يتم عرضها في المتاحف العالمية هناك. وأن الكثير من المصريين يعثرون على الآثار المصرية حول مدن وقري الصعيد وأسفل المنازل، فلا يترددوا في بيعها إلى شبكات دولية متخصصة في شرائها بأثمان باهظة، فيصبح مالكها بين عشية وضحاها من الأثرياء، بينما تفقد مصر ثرواتها التاريخية إلى الأبد. فشعر الحاضرون بالأسف والغضب والرثاء لحال أبناء البلاد ممن يبيعون أوطانهم مقابل المال.

عادت الرحلة إلى القاهرة مكللة بالنجاح، وبعد يومين أرسل مسؤول الفوج السياحي جواب شكر إلى المدرسة وإلى فريدة على الجهد القيم خلال الرحلة.

فعرف مدير المدرسة أن فريدة معلمة ممتازة، وشعلة نشاط متى أتيحت لها الفرصة لإظهار جهدها وعلمها، فزادت ثقته فيها واعتمد عليها بعدها في تنظيم عدة رحلات إلى الأهرامات بالجيزة وإلى أماكن تاريخية مختلفة في القاهرة، فنفذت عملها على أكمل وجه.

مذكرات فريدة

وبعد عدة سنوات قررت فريدة كتابة مذكراتها حتى لا تنسى ولا ينسى أبناؤها ما مر بحياتها من أحداث فكتبت:

تعودتُ على الخوف والقلق، فكنتُ أحسب حساب لكل خطوة أخطوها، وأفكر في عواقب تصرفاتي، ورأي الناس فيها، وأتوقع الأسوأ حتى أُعد له العُدة، وصفوني بالمتشائمة ولكني لم أصدق هذا الوصف أبدا. ولم يخطر ببالي أنني أعاني من اضطراب نفسي يستوجب العلاج.

وبعد عام من عملي بالمدرسة قد تم إبلاغي من قِبَل مدير المدرسة بمؤتمر تعليمي هام بدولة الإمارات في دبيّ، ووقع عليَّ الاختيار للمشاركة فيه، كنت فخورة بعملي وبترشيح رئيسي لي، فشعرتُ بالفرحة ولكن فرحتي كانت مشوبة بالقلق والخوف، كيف سأتصرف، ومَن سوف يساعدني في كل خطوة أخطوها في الغربة، فأنا سأكون وحدي، ولا يوجد من يعينني.

ولكن بعد تفكير عميق قلتُ لنفسي:

لا تضيعي الفرصة بسبب خوفك وضعفك، أنتِ ستكونين قوية، ولو لم تكوني متميزة لما اختاروكِ لتمثيل مصر في المؤتمر ضمن أرقى الباحثين. ستفعلين ما يفعله الآخرون، هيا تستطيعين.

فارقني النوم لعدة ليالٍ تالية، وقتلني التفكير في كيفية تدبير أمري، فاشتريتُ أشياء عديدة لا أعلم إن كنتُ سأحتاجها أم لا، كانت الساعات تمر سريعاً والدقائق تنهشني بأنيابها، وأنا في انتظار اليوم الموعود.

فكرتُ كثيرا: هل قراري بالموافقة على الاشتراك في المؤتمر صائب أم كان عليّ الاعتذار؟

توكلتُ على الله، وعزمتُ على نسيان كل شكوكي ومخاوفي من المجهول، وسافرتُ إلى المؤتمر في موعدي

وما إن دخلتُ إلى غرفتي في الفندق إلا وقد حدث ما لم أكن أتوقعه، فقد وجدتُ على الفراش طفلة صغيرة عمرها لا يتعدى ثمانية أعوام زرقاء الوجه مختنقة بوشاح أسود، فصرختُ من الصدمة.....

كانت الطفلة المختنقة مُلقاة على الفراش بطريقة توحي بأن من فعلها كان متعجل من أمره، ألقاها ثم لاذ بالفرار، أو هكذا تخيلتُ، حين صرختُ بصوت خافت من أثر الصدمة، ولم يجبني أحد، فكرتُ للحظة أنني قد أُتهَم بقتلها، وأن التحقيق معي يعد أمراً لا شك فيه، ومرعبا بالنسبة لي.

عندها أغلقتُ الغرفة بالمفتاح، وتصنعتُ صعوبة فتح الباب فاتجهتُ الى الاستقبال في الفندق، ثم أخبرتُه إنني لا أستطع فتح الباب ليرافقني أحد العاملين بالفندق، فيكتشف الجريمة بنفسه، بعيداً عني.

وسارت الخطة كما رسمتُها حيث رافقني أحد الموظفين من أجل فتح الغرفة وعندما وضع المفتاح في الباب، وقام بلفه ناحية اليمين انفتحت الغرفة بسهولة، فقال لي: تفضلي.

وهم بالانصراف دون دخول الغرفة ولكنني استوقفته قائلة:

_أرجو أن تفتح لي الشرفة أيضا، لربما صعُب عليَّ فتحها هي الأخرى، كنتُ حينها أريد منه دخول الحجرة لأي سبب ليلفت نظره ما رأيته أنا سابقا.

تنهد بصوت مرتفع ونفاذ صبر وقال:

_ تفضلي ودلف الغرفة قبلي، ووقتها دلفتُ خلفه متوقعة الكارثة ومستعدة للصراخ، ولكن حدثت المفاجأة، اختفت الجثة وكان الفراش خاليا....

تسمرتُ في موضعي غير مصدقة، وبدأ الرعب يتسربُ إلى نفسي، لا أعرف كيف أتصرف، ولا أعرف كيف أعثر على فندق آخر إن تركتُ هذا الفندق، فأنا هنا غريبة عن المدينة، أقنعتُ نفسي بأنني كنت واهمة، وأنه لم يكن هناك أحد على الفراش منذ البداية، فأغلقتُ الباب عليَّ، وبقيتُ ساكنة بضعة دقائق أستجمع فيها ما تناثر من أجزاء نفسي.

ثم بدلتُ ملابسي، ونمتُ في فراشي متناسية كل ما مضى، ولكنني تركتُ المصباح مضاء طيلة الليلة.

في صباح اليوم التالي استيقظتُ على أثر صوت المنبه الذي يدق من خلال هاتفي المحمول، فنهضتُ من الفراش، وتوضأت استعدادا لصلاة الصبح، وما

إن فرغتُ من الصلاة إلا وقد لاحظت شيئا يبرز من باب الدولاب الضخم الذي يربض في أحد أركان الحجرة الواسعة، فتقدمتُ بحذر منه، ولا يكاد صوت قدمي يظهر على الأرضية المغطاة بخشب البلوط العتيق، ثم جذبت باب الدولاب وفتحته، فصُعِقت مما رأيت، لقد كانت الطفلة المختنقة بالوشاح واقفة مستندة على جدار الصوان ميتة وطرف الوشاح هو ما برز من باب الدولاب الذي تم تركه منفرجاً فُرجة ضيقة لا يلاحظه الرائي بسهولة.

صرختُ صرخة مدوية، فأسرع العديد من نزلاء الفندق بالحضور، وتساءلوا عن الأمر وعندما رأوا ما رأيتُ تصايحوا، وخرجت النساء صارخة مسرعة، مرتعبة خارج الحجرات، ثم حضرت إدارة الفندق، وعلا صوت مدير الفندق قائلاً لا أحد يلمس شيء سنتصل بالشرطة حالاً.

فابتعد الجميع بما فيهم أنا، وانتظرنا قدوم الشرطة. وأنا أرتعش من الخوف، ولا سيما كلما تخيلتُ أنني نمتُ في حجرة بها جثة قتيلة طوال الليل دون أن أدري، بل وكنتُ أقنع نفسي بأنني واهمة.

عندما قدِمت الشرطة إلى الفندق، واستطلعوا الأمر فهموا أنني نزيلة في الحجرة 99، فصحبني ضابط الشرطة لاستجوابي، وظل يسألني نفس الأسئلة بصياغة مختلفة ليتأكد هل لي صلة بالجثة أم لا.

ولما علم أنني مبعوثة عن دولتي كممثلة لها في المؤتمر التعليمي قال إنه سيتأكد من أقوالي ببعض التحريات قبل أن يأذن لي بالانصراف.

وأنا قلقة أبكي، حتى مرت ساعتان قبل أن يسمحوا لي بالرحيل.
ذهبتُ إلى مقر المؤتمر، وأبلغتُ موظفي الإدارة بما حدث، فقاموا بحجز حجرة أخرى في فندق جديد قريبا من مقر المؤتمر، فانتقلتُ إليه على عجل، وأنا مضطربة بسبب ما لاقيتُ بالأمس واليوم، ومتعجبة مما جري لي.
تناولتُ وجبة الغداء، ثم استرحتُ قليلا بغرفتي، وفي المساء التقيتُ ببعض زميلاتي من المعلمات العربيات القادمات من تونس والجزائر والسعودية، وكنا قد اتفقنا مع إحدى المعلمات من دولة الإمارات أنها ستصحبنا في نزهة لمشاهدة معالم دبي، وفعلاً تجولنا كثيراً في المدينة الرائعة ببناياتها الفارهة، وأماكن الترفيه اللطيفة، تجولنا كثيراً وابتعنا الهدايا، ولكن كل ذلك لم يخرجني من حالة القلق، والخوف التي مازالت مسيطرة عليَّ.
عدتُ إلى الفندق في نهاية اليوم مرهقة، فأويتُ إلى فراشي للنوم، ولكنني شعرتُ بحركة غير عادية في غرفتي، فاتصلتُ بإدارة الفندق على الفور، وأنا متلاحقة الأنفاس، سريعة النبض، وأخبرتهم بما سمعتُ، وعلى الفور جاء بعض العاملين بالفندق لتحري الأمر.
لم يعثروا على أحد بداخل الغرفة، وظللتُ أتنفس بصعوبة وأنا خائفة، تمنيتُ لو استطعتُ قطع الرحلة والعودة من حيث أتيتُ، ولكن التذكرة كانت بتاريخ الخميس، وهو يوم انتهاء المؤتمر، واليوم هو الإثنين ولا أعرف كيف أستبدلها بتذكرة عاجلة.

فقررتُ البقاء في غرفتي والمصباح مضاء طيلة الليلة، وأنا شاخصة البصر نحو الباب وعند الثانية بعد منتصف الليل، رأيته خارجاً من الشرفة.

كان شاباً طويلاً متين البنيان، عريض الجبهة، لم أتبين ملامحه بدقة لخوفي الشديد، شلت المفاجأة قدميَّ وعقدت لساني فلم أنطق، وإنما قبضتُ على الوسادة من الخوف، فأشار لي بيديه قائلا:

_لا تخافي لم أحضر هنا لإيذائك، ستفهمين كل شيء في الحال.

ابتلعتُ ريقي بصعوبة، ولم أنبث ببنت شفة.

قال لي بصوت خفيض:

سأعرفكِ بنفسي:

_أنا نبيل مهدي، راقبتُك منذ تركتي الفندق السابق، وعلمتُ بما حدث معكِ، وجئتُ لتحذيرك لأن القاتل يتتبعك، ويظن أنكِ تعرفيه حيث كان مقيماً قبلك بالحجرة التي أقمتِ بها، وعرف أنكِ رأيتِ الطفلة التي قتلها. هو يخشى منكِ ويريد أن يورطكِ في الجريمة.

هنا التفتُ إليه بتركيز لأفهم ما يقصد، وقلتُ له:

_لم أرَ أحداً بالغرفة سوى البنت، ما هذه الكارثة التي حلت فوق رأسي، أنا سأسافر قريبا، وأعود إلى بلدي، ولا علاقة لي بشيء.

_ربما كان خائفاً أن تفشي سره، هي مسألة حياة أو موت

_ قلتُ لكَ لا أعرف شيئا، ولم أرَ أحداَ ماذا أفعل لتصدقني؟ ثم إنك لم تخبرني من أنتَ، وما علاقتك بالجريمة وكيف عرفت بالأمر؟

_أنا أحد ضباط الشرطة، بعد التحريات علمتُ بالخطر المحدق بكِ، وحاولتُ تحذيرك

_ وها قد حذرتَني. أرجو أن تتركني لحالي، فأعصابي لا تتحمل مزيداً من الضغط

انصرف الشاب من الباب، وتركني في حالة يُرثى لها. بكيتُ بصوت مرتفع كما لم أبكِ من قبل. كان الهواء باردا بفعل المكيف، ولكنني شعرتُ بحرارة أنفاسي تشعل عقلي بالأفكار.

لم أكن مصدقة ما يحدث لي. في اليوم التالي استقللت سيارة إلى المطار، وحاولتُ الحجز لأسافر، ولكن لم تكن هناك مقاعد شاغرة بالطيارة، فعدتُ أدراجي أجر أذيال الخيبة، وفي المؤتمر قابلتُ زميلاتي المصريات، وأخبرتهن برغبتي في العودة سريعاً، ولكن لم أجد اهتمام منهن، فآثرتُ الصمت وظللتُ أفكر في حل.

وحينما راجعتُ الموقف لم أستطعْ تصديق أن مَن زار غرفتي بالأمس كان ضابطا، ولو كان كذلك فلمَ تلصصَ واختبأ حتى انصرف العاملون من الفندق، ممَ يخاف!؟

لستُ آمنة على نفسي في هذا الفندق بعد الآن.

فكرتُ في التوجه إلى قسم الشرطة للإبلاغ عما جرى معي. ولكني تراجعتُ حين فكرتُ في احتمال أن يكون ذلك الشاب هو نفسه القاتل، ويحاول معرفة مدى تورطي في رؤيته أو معلوماتي عن الجريمة. أنا كثيرة التفكير

وأشعر بالقلق والخوف الشديدين. عدتُ إلى الفندق يائسة محطمة الأعصاب.

في المساء جلستُ في بهو الفندق، وقررتُ عدم المبيت في حجرتي حتى أسافر، ولكنني لمحتُ ذلك الشاب في أحد الأركان يجلس إلى الطاولة، ويتناول العشاء.

تعجبتُ في البداية، وكذبتُ ظني في أن له صلة بالقاتل، ولكن لغزاً بدأ يبرز أمام عقلي لا أعرف كيف سأحله.

بعد مرور ساعة، وأنا جالسة في الفندق أحدقُ في المارة والنزلاء، وهم يتحركون يميناً ويساراً، وبعضهم يغادر الفندق وبعضهم قادم للسكن فيه، وأنا متعبة وأريد النوم ولكن أقاوم لأقصى درجة.

وفجأة وجدتُ ذلك الشاب يتجه نحو طاولتي، ثم يستأذن ويجلس أمامي.

خاطبني بلهجة المهتم بالأمر، وقال لي:

_صدقيني أنا أريد مصلحتك، فالتحقيق مازال مفتوح، ولم يتم اتهام أحد في الجريمة.

_ وماذا سأقدم لكم؟ ما دوري في هذه القصة؟

_ اليوم سنراجع كاميرات المراقبة بالفندق، وسنعرف من دخل أو خرج من مسرح الجريمة.

عندما سمعتُ ذلك، تذكرتُ أنني دخلتُ الحجرة، وخرجتُ متصنعة عدم استطاعتي فتح الباب، فلمتُ نفسي وقلتُ تباً لي ولغبائي، أما كان يجدر بي التفكير ولو قليلاً قبل هذا التصرف.

فقصصتُ على المدعو نبيل ما فعلتُ، وشرحتُ له دافعي، وخوفي من اتهامي بأن لي علاقة بالجريمة.

نظر إليَّ قليلا وكأنه يستشف صدقي من عدمه ثم قال لي:

_ سألاقيكِ في المساء لأطلعكِ على نتيجة فحص الكاميرات، أم تريدين استدعائك بصورة رسمية مرة أخرى؟

_ لا لا داعي، اتفقنا.

اتجهتُ إلى غرفتي للمبيت فيها، فقد أدركتُ أن جلوسي في بهو الفندق لا طائل منه، كما أنني متعبة وأردتُ الحصول على قسط من النوم.

في اليوم التالي ذهبتُ إلى مقر المؤتمر لحضور أحد المحاضرات التي ألقاها أحد أساتذة التاريخ، وبعدها اتجهت إلى الفندق لتناول الغداء، فطلبتُ الطعام في غرفتي، وأغلقتُ الباب جيدا بالمزلاج. وفى المساء استيقظتُ على صوتِ طرقاتٍ عنيفة متسارعة على باب حجرتي

فتحتُ الباب الموصد، فوجدته نفس الشاب- نبيل يخبرني بأن أُعد نفسي للمغادرة حالاً لأن الخطر يحدق بي.

ارتعبتُ فعلاً، واستأذنتُه في الانتظار بالأسفل حتى أرتدي ملابسي بسرعة، وفى خلال دقائق كنتُ أقف أمامه في بهو الفندق، فأمسكَ بيدي وجرى، وهو يجذبني خلفه قائلا: هيا بسرعة. بسرعة.

دخلنا سيارة ليموزين سوداء كانت بانتظارنا، وطارت بنا مسرعة، كان وجيب قلبي يتردد في صدري، وأنا أبدو خائفة، فقطع هو عليَّ أفكاري قائلا:

_ستكونين في أمان لا تخافي.

فرددتُ: _ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

بعد ساعة تقريباً توقفت السيارة أمام أحد الفنادق في منطقة منعزلة، ودخلنا معاً ثم قام بإعطائي مفتاحا وقال غرفتك هي الغرفة 58 اذهبي إليها الآن، وسأخبرك بما جري في أقرب فرصة، وحذاري أن تخرجي من الفندق سوى بعد عودتي.

قلتُ في نفسي يا ربي ما هذه الورطة! إنه ثالث فندق حتى الآن.

كانت الحجرة مربعة شاسعة المساحة بها تخت كبير، ودولاب ومنضدة ضخمة فوقها جهاز حاسوب كبير لم أر مثيلاً له من قبل.

قبعتُ على أحد المقاعد بجوار الشرفة، وقتلني التفكير في مصيري.

وبعد عدة ساعات دق جرس هاتفي، وكان المتحدث نبيل، وأخبرني بأن أقابله في بهو الفندق بعد خمس دقائق.

توجهتُ إلى المكان الذي أشار إليه، وأنا غاضبة، وأشرت إليه بيدي صائحة:

_ لو لم تخبرني بما يجري سأذهب إلى الشرطة، وأقص عليهم كل ما كان من أمرك.

فقال بصوتٍ هادئ:

_ سأخبرك بكل شيء حالاً. بعد تفريغ الكاميرات رأت النيابة استدعاءكِ لتفسير ما فعلتِ، وفي نفس الوقت اختفت الجثة من المشرحة قبل إجراء الصفة التشريحية لها.

أشارت أصابع الاتهام إلى تشكيل عصابي يضم قاتل متسلسل لم تصل إليه الشرطة بعد. وفشلت في القبض عليه قام بعدة جرائم مشابهة للأطفال من عمر الخامسة وحتى الخامسة عشرة قام ذويهم بالإبلاغ عن اختفائهم مؤخرا.

فقلت له: وما دخلي أنا بذلك؟

_أنتِ من أبلغتِ الشرطة، فقامت بالتحفظ على الجثة للتشريح، وأفرغت الكاميرات وبدأت تمسك بخيوط الجريمة، وتتبع التشكيل العصابي.

_ولكن أين ذهبت الجثة؟

_ للإجابة عن هذا التساؤل لابد أن تسألي ما الغرض من قتل أطفال في هذا العمر المبكر.

_ ما الغرض؟

_ أحيانا يكون غرض القاتل هو تصوير عملية القتل في أفلام فيديو يتم بيعها لما يعرف بالشبكة المظلمة (**deep web**)

وأحيانا تمارس بعد ذلك طقوس شيطانية على دماء هذه الأطفال في حالة ذبحهم بمعرفة عرافين كما يحدث في مصر، بادعاء فتح مقابر فرعونية، كما يتم بيع أعضائهم بمبالغ طائلة كقطع غيار للمرضى الأثرياء.

_ يا إلهي إذن الأمر خطير، أشعر بالرعب الآن أكثر من ذي قبل. ولكن من أنتَ؟

_ أنا مصري أوقعني الحظ في طريقك لإنقاذك... وكفى

هيا الآن إلى المطار، فقد حجزتُ لكِ تذكرة سفر على الطائرة المغادرة في الصباح الباكر إلى القاهرة، لابد من السفر قبل أن تعثر عليكِ العصابة.

_ أشيائي في الفندق السابق، لا أستطع السفر بدون حقيبتي وبها جواز السفر وأوراقي الرسمية.

_أحضرتُ لكِ كل شيء في السيارة بالخارج، يلزمنا التحرك الآن.

لم يكن أمامي سوى طاعته، والخروج معهُ حيث أشار لي.

العودة إلى مصر

لقد أوصلني نبيل إلى المطار، وتمت إجراءات السفر بسرعة، ثم جلستُ في داخل الطائرة مرهقة، وتبدو على قسماتي علامات القلق مما قد يحدث لي من معوقات، ولكني استسلمتُ لأقداري وغفيتُ لوهلة قليلة وقلتُ في نفسي يكفي أن تخرج روحي من هذه الأماكن وهذه الطرقات وهذه الذكريات لتسعَ إلى موطن آخر، بكيتُ بحرقة بسبب كل ما مر بي، وتمنيت الموت، إلى هذه الدرجة لم يعد بحياتي ما يستحق البقاء.

كلما ضاقت الحروف على معانى الكلمات، أدركتُ أن المعاني أكبر من أن تقال، وكلما مرت اللحظات لتحمّلني بأقصى أنواع الابتلاءات، أدركت أن الدنيا لا تساوى عندي قلامة ظفر، وكلما تأكدتُ أنه لم يبقى لي أمنيات علمتُ أن الله سيرفق بي ويرحمني.

ثم أفقتُ على صوت المضيفة اربطوا الأحزمة لقد حان موعد هبوط الطائرة حمداً لله على سلامتكم.

انتبهتُ على فكرة أنه لا أحد يعلم بموعد وصولي اليوم، ولن أجد من أسرتي ينتظرني في المطار، فهل أذهب إلى بيتي أم ستتوالى المفاجآت؟ أخشى أن يتبعني المجرم أو الشرطة الدولية.

فور هبوط الطائرة دخلتُ مع المسافرين إلى قاعة استلام الحقائب، وتم التأشير على جواز سفري، ثم عثرتُ على حقيبتي في الحال، وخرجتُ بها خارج صالة استقبال الزوار، ثم وقفتُ حائرة أفكر وقلتُ لنفسي لو اتجهتُ إلى منزلي في القاهرة فإن عنواني معروف لدى إدارة المؤتمر، ومن الممكن أن تستدعيني الشرطة عن طريق الإنتربول لأسافر الإمارات مرة أخرى للتحقيق، وربما انتشر الخبر بالجرائد، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، وعندها قد لا يتسنى لي العودة إلى موطني مرة أخرى وتكون فضيحة كبرى.

وفي غمرة أفكاري دق هاتفي، وكانت صديقتي مها التي ترافقني في المؤتمر تسألني أين أنتِ قلقنا عليكِ.

فأجبتها أنني سأقابلها في قاعة المؤتمرات.

أخفيت عنها عودتي كنوع من التمويه، حتى لا تعرف أنني سافرت وتخبر أحد. ثم أغلقتُ الهاتف.

ومن ثَم أخرجتُ شريحة الاتصال، وتخلصتُ منها في أقرب صندوق قمامة، واشتريتُ شريحة أخرى من المطار.

ثم سحبتُ من ماكينة الصراف الآلي ببطاقتي الائتمانية عشرة آلاف جنية لنفقاتي الشخصية. كل هذا وأنا ألهث، وتتسارع نبضات قلبي.

استأجرتُ سيارة لتوصيلي إلى محطة مصر حتى أستقل القطار من القاهرة، وبالفعل منها أخذتُ القطار السريع إلى الإسكندرية، حيث توجد شقة لأسرتي في العجمي كنا نقضي بها العطلات الصيفية، ولكننا لم نذهب إليها منذ عدة سنوات، ومعي مفتاحها دائما، ففضلتُ البقاء بها ريثما أفكر بهدوء فيما سأفعل.

في الإسكندرية

كنتُ أظن أنني سأهدأ حين أبتعد عن موقع الأحداث، ولكن للأسف ظل القلق يلازمني وأفكر في كافة الاحتمالات السيئة التي قد تحدث لي.

كانت الشقة في العجمي مليئة بالأتربة، وغير مجهزة للسكن بها وهي على هذه الحالة، فاضطررتُ إلى أن أطلب من همّام بواب العمارة إحضار فتاة تساعدني في النظافة، وللمبيت معي كذلك. فأخبرني بأن ابنته حنين يمكنها مساعدتي والمبيت معي فترة بقائي بالشقة، وفعلا أرسلها إليّ على الفور.

كانت حنين في العشرين من عمرها، حاصلة على شهادة الثانوية التجارية، وتعيش مع والديها في الطابق الأرضي، وتساعدهما في أعمال حراسة العمارة.

كانت باسمة الثغر برغم ظروفها، وتبدو راضية عن حياتها، ذات طاقة عالية في التنظيف وأعمال المنزل المختلفة، والترتيب، ساعدتني على الفور وأنجزنا كل شيء.

بعدها كتبتُ لها كشفاً بالطلبات التي أحتاجها من أطعمة، وملابس ومشروبات، فخرجت لشرائها.

عادت الفتاة بعد ساعة تحمل عدد من الأكياس بها كل ما طلبتُ، وحينها تناولنا الغداء معاً وأخبرتها أنني سأنام، ويمكنها هي البقاء بالشقة، أو النزول لأسرتها متى شاءت على أن تعود للمبيت معي كما اتفقت مع والدها، فوافقت.

في صباح اليوم التالي فكرتُ في الاتصال بأسرتي، وإخبارهم بعودتي إلى مصر ولكنني تراجعتُ، وشعرتُ بالخوف من اللحاق بي ومطاردة الشرطة وتوقعتُ نفس السيناريو الذي دفعني للاختباء في العجمي بعيداً عن الجميع.

خرجتُ في الصباح لا ألوى على شيء، ولكن برقت في خاطري فكرة، أضاءت ظلام ظنوني، تذكرتُ أن عمي إبراهيم يقيم هنا في الإسكندرية مع أسرته منذ زمن بعيد في حي المنشية، وهو محامي كبير ويمكنه مساعدتي، وأن عليَّ البحث عن عنوانه والتواصل معه، وإخباره بتفاصيل ما حدث معي، أو حتى يمكنني التواصل مع ابنته لاستشارتها، فأنا أشعر بالوحدة وأخاف من كل شيء حولي.

بحثتُ في الفيس بوك عن صفحة مكتب محاماة باسم عمي ووجدته، حيث وضع صورته كعلامة مميزة لحسابه، وكان لحسن الحظ مسجلاً لعنوانه بالتفصيل ورقم هاتفه، تهلل وجهي وأنا أجني ثمار بحثي، وما لبثتُ أن اتصلتُ به على الفور.

أجابني عمي حين هاتفته، وأظهر سعادته لهذا التواصل الذي كان يأمله منذ زمن طويل، فأخبرتُه بتواجدي في الإسكندرية، وبرغبتي في زيارته لأمرٍ هام.

فطلب عنواني وآثر المرور علي في مساء نفس اليوم لاصطحابي إلى منزله، فلم أمانع.

أخبرتُ حنين بأمر عمي، وبأنني ربما تأخرتُ في المساء عنده، وسأتصل بها لتصعد إليَّ فور عودتي من منزله.

مرَّ عمي إبراهيم في الرابعة مساءًا بسيارته المرسيدس البيضاء التي تبدو جديدة جدا، وقد لفت نظري تغيُر هيأتِه، وغزو الشعيرات البيضاء لمعظم مساحات رأسه. سلم عليَّ بحرارة، وصحبني إلى سيارته

سألني عن والدي ووالدتي وإخوتي، فأجبته أنهم جميعا بخير. فقال:

_ هل هم معكِ في الإسكندرية أم أتيتِ بمفردكِ؟

_ الحقيقة هم لا يعلمون بحضوري إلى هنا

ظهرت على ملامحه علامات الارتباك والدهشة ثم قال:

_ يبدو أنكِ في محنة وتحتاجين إلى مساعدة

_ نعم نعم أنا قلقة جدا، كنتُ في مؤتمر بالإمارات وحدث لي حوادث كثيرة، ومررتُ بالعديد من المتاعب حتى عودتي، ولا يجوز لأحد أن يعلم بمكاني، سأخبرك بكل شيء فيما بعد.

صمت عمي طويلا، وصرف جُل اهتمامه إلى الطريق الذي بدا مزدحما حتى وصلنا إلى حي جليم، اندهشتُ قليلا حين توقف عمي أمام عمارة فارهة تبدو عليها علامات الأُبهة، ثم قال لي هيا بنا.

_ إلى أين؟ أليس عنوانك في المنشية.

_ لا لم يعُد كذلك، فقد تركتُ المنشية منذ عدة سنوات وانتقلتُ إلى العيش هنا.

أليس أفضل؟

_ أفضل طبعا أكيد.

دلفنا إلى المصعد، وعن طريق الشريحة المغنطة انطلق بنا المصعد حتى الطابق العاشر.

ثم فتح عمي باب المصعد، وخرجنا ثم اتجهنا إلى الباب الواقع على يميننا، وهو باب شقة عمي على ما بدا لي.

دق عمي جرس الباب ففتحت زوجة عمي سناء الباب، وصاحت متهللة أهلا. أهلا. أهلاً

أنرتِ الإسكندرية مرحبا يا حبيبتي كيف حال والدتك، وأبيكِ وإخوتك. كم اشتقنا إليكم.

ابتسمتُ وسعدتُ بترحابها الشديد الذي خفف من حدة قلقي ثم أجبتُها:

_ الحمد لله كلنا بخير يا خالتي ولكن أين مرام؟

_ هي في عملها يا ابنتي الآن، ستحضر في المساء، وتقضيا معا أوقاتاً طويلة هيا إلى الغداء، الطعام جاهز قالها عمي وهو متجهاً نحو المائدة.

كانت شقة عمي شاسعة، تحيط بها الزهور الطبيعية والأوراق النباتية الخضراء في الردهة بالكامل، وتتوزع قطع الأثاث الحديثة بشكل هندسي بديع ينُم عن ذوق مهندس الديكور الذي وضع لمساته على كل شبر فيها.

اتجهنا جميعا إلى المائدة، واحتفت بي زوجة عمي، وأبدت سعادتها بلقائي، وحنينها إلى الأيام الخوالي التي لا تُعوض.

بعد انتهائنا من الطعام، أخبرني عمي أنه يريد الحديث معي في الشرفة أثناء تناول القهوة.

فدلفتُ معه إلى الشرفة، وعلى وجهي علامات القلق لا أدري كيف أبدأ حديثي،

كانت الشرفة تطل على البحر، والمشهد خلاب. شرع عمي في الكلام وقال:

_ أخبريني ماذا حدث لكِ بالضبط في خلال رحلتك للمؤتمر؟

_ حسنا. أنا نزلتُ في أحد الفنادق بمفردي، ورأيت جثة فتاة مخنوقة ملقاة على الفراش، فاستدعيتُ الأمن ودخلتُ معه الغرفة ثانية فلم نعثر عليها.

_ وهل أبلغته بما رأيتِ؟

_ أنا خشيتُ ألا يصدقني، وقد سجلت الكاميرات دخولي وخروجي من الغرفة دون الإبلاغ عما رأيتُ بداخلها مما أثار شك المحققين في صلتي بالجريمة؟

_ مَن أفهمكِ ذلك؟ لا شك فيكِ ولا علاقة لكِ بالجريمة أكيد التحريات أثبتت ذلك، أنتِ مجرد نزيلة بالفندق، من أخبر الشرطة بالجريمة؟

_أنا. فقد صرختُ بصوتٍ عالٍ فاجتمع نزلاء الفندق وأخبرت إدارة الفندق الشرطة

_ إذا نيتك واضحة، لو أردتِ إخفاء أي معلومات لما صرختي بأعلى صوتك، هذا دليل براءتك

هل هربتِ بعدها دون معرفة الوفد المصاحب لك بالمؤتمر؟

_ نعم هذا ما حدث، فقد أخبرني أحد الأشخاص أنني لابد أن أسافر وإلا تعرضتُ إلى الخطر.

_ من هذا الرجل وما عمله؟ وما علاقته بالجريمة؟

_ وجدتُه في حجرة الفندق الذي انتقلتُ إليه فيما بعد، لم أتبين عمله بالضبط، أخبرني أنه يعمل بالشرطة وأنه شارك في التحريات عن الجريمة.

_ما اسمه؟

_ نبيل مهدي. أخبرني أن القاتل هو عضو في تشكيل عصابي ضخم وكان بالحجرة قبل دخولي إليها، وأنه يشك في أنني رأيته حينها لذلك يبحث عني، وقد يؤذيني إن عثر عليّ، ولذلك ساعدني على العودة قبل موعدي.

أشعر أن نبيل هذا أراد أن يورطك، مجرد سفرك بهذه الطريقة يثير الريبة.

_ ماذا تعني؟ أيكون هو من قتل الطفلة، وأراد توريطي؟

_ لمَ لا؟ ولاسيما أن الشرطة أفرجت عنكِ، لو كان هناك اشتباه بكِ لتم احتجازك.

بدأت ضربات قلبي تتصاعد، وشعرتُ بالقلق أكثر، فقلتُ لعمي:

_كيف أتصرف الآن؟

دعيني أفكر قليلاً، لابد أن نعرف مَن نبيل مهدي هذا، ثم نتصرف بشكل حذِر.

دلفت زوجة عمي وقالت لابد أن تبقي عندنا هنا، لا يصح أن تعيشي وحدك في الإسكندرية، ولاسيما أن والداكِ بالقاهرة.

أمَّن عمي على كلامها، وقال سأذهب بنفسي معكِ غدا لإحضار حقيبتك، لتبقي معنا حتى نرى ماذا سنفعل.

في المساء اتصلتُ بحنين لأخبرها أنني سأقيم عند عمي، وبعد برهة حضرت مرام من العمل.

بهتُ من هيئتها فقد تغيرت كثيرا، كان يبدو أنها تعمل مضيفة بشركة مصر للطيران، سلمَت عليَّ بحرارة وعانقتني بود شديد، فذرفتُ الدمع من مقلتيَّ حين تذكرتُ لحظة وداعنا منذ عدة سنوات حيث إني لم أرها منذ ذلك الحين، وقد انقطعت أخبارها عني تماماً منذ ذلك الحين.

جلسنا معا في حجرتها وأخبرتني عن الرحلات العديدة التي تقوم بها يوميا، وعن عالم الطيران البديع الذي طالما كانت تتمناه، وحقق الله لها أمنيتها فيه.

ثم طرقت والدتها الباب وصحبتني إلى حجرة الضيوف للمبيت فيها، كما أخبرتني أنها منذ الآن ستصبح غرفتي لحين عودتي إلى بيتي في القاهرة.
كانت الغرفة فاخرة الأثاث بها تخت وصوان كبير، ومكتب فوقه جهاز حاسب آلي وأرضيتها من البورسلين اللامع.
شكرتها كثيراً، ثم أويتُ إلى فراشي الوثير ذي الألوان الهادئة التي تساعد على النُعاس ونمتُ، فقد كنتُ في أمس الحاجة إلى النوم بعد أن شعرتُ بالأمان بعد قلقٍ طويل.

بحثٌ وتحري

في اليوم التالي، تناولتُ الفطور مع عمي وزوجته ومرام، وأخبرتنا مرام أن رحلتها إلى باريس ستقوم في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل، فتهللت أساريري، وطلبتُ منها اصطحابنا أنا وعمي حيث سأحضر حقيبتي وكل حاجياتي من شقتنا في العجمي فلم تمانع، واتفقنا على الذهاب بعد عودة عمي من المحكمة ظهرا.

غادر عمي إلى عمله، وبقيتُ مع مرام وخالتي سناء نتجاذب أطراف الحديث، فقالت مرام:

_ أخبريني ماذا أحضر لكِ من باريس؟

ابتسمتُ بخجل وقلتُ لها:

_ لا شيء، فقط أن تعودي سالمة بإذن الله.

فاقترحت والدتها أن تبتاع لي زجاجة عطر فاخرة من باريس، وهي أفضل هدية من هناك.

فانفرجت قسمات مرام وقالت: نعم فعلا هي أفضل هدية يمكن اقتناءها من عاصمة النور.

فأردفتُ لهما قائلة: صدقاني لا أريد شيئا، فلدي كل شيء، ألف شكر على شعوركما الطيب

_ لا شكر بيننا يا ابنتي، فنحن أهل ومُقصرين في حقكم جدا، وصدقيني لولا انشغال عملكِ في عمله، ومشاغل الحياة لما تركناكم كل هذه المدة

مر الوقت سريعا معهما، وبعد عودة عمي من عمله وتناولنا الغذاء، خرجنا ثلاثتنا، أنا وعمي ومرام لإحضار أمتعتي، ولكن انتظرنا عمي بالسيارة، فصعدتُ مع مرام لجمع أغراضي، ولكننا فوجئنا بمحتويات الشقة مبعثرة، والأدراج ملقاة على الأرض، والمقاعد منقلبة، ويبدو أن أحدهم قد هاجم الشقة بالأمس، فارتعبتُ وظهرت علامات الهلع على وجهي، كما وجمت مرام برهة، ثم صاحت بي لا تخافي هيا سريعاً لنخبر أبي لكي يتصرف، حمدا لله أنكِ لم تكوني بالشقة.

وفورا انطلقنا إلى الشارع، وقصصنا على عمي كل ما حدث، فهدأ من روعي وقال لي لا بد من إبلاغ الشرطة حالا، وحمدا لله أنكِ بقيتي معنا.

تم إبلاغ الشرطة، وحضرت سيارة محملة بقوات الشرطة مع الضابط الذي بدأ بمساءلتي:

_ هل فقدتِ شيء؟ هل أشيائك كاملة؟

_ لا أدري أنا مرتبكة وخائفة، من فعل بي هذا؟

_ سنعلم بالتأكيد ولكن عليكِ مساعدتنا، هل الهجوم كان بغرض السرقة أم كان انتقاما منكِ لعداوة سابقة، حاولي أن تفكري فيمن ترتابي؟

_ لا أدري واللهِ، هذه شقة والدي، وليست محل إقامتي، وقد حضرتُ إليها منذ يومين فقط، ولا أحد من أسرتي يعلم بوجودي هنا، ولا أحد غيرهم يعرف، أكاد أن أُجن.

_إذن فلتأتوا معناً جميعا إلى قسم الشرطة بعد المعاينة لإتمام المحضر.

ذهبنا جميعا مع الضابط لاستكمال المحضر، وسألنا عما رأينا عند دخولنا الشقة، وعن حال الباب هل كان مفتوحاً أم مكسوراً أم مغلقاً بطريقة عادية، وفعلاً لم يبد على الباب أي علامات عنف، أو استخدام للقوة في فتحه.

ثم سألني عمن تردد عليّ منذ دخولي الشقة، فأخبرته إنه البواب وابنته حنين، التي باتت معي ليلة واحدة بالشقة.

فأمر باستدعائهما للاستجواب.

طلب منا عمي الانتظار بالخارج لرغبته في الحديث مع الضابط على انفراد فانتظرناه بالسيارة. وكنتُ قلقة لخوفي أن يخبر الشرطة عما أخبرته به بالأمس.

بعد ساعة خرج عمي ورافقنا إلى المنزل، وقصت مرام على والدتها ما حدث فانزعجت جدا، وقالت حمدا لله أن فريدة كانت هنا، ربما أذاها اللص الذي هاجم مسكنها لو بقيت بمفردها.

احتضنتني وربتت على كتفي وقالت: أرأيتِ أن رأينا كان صائبا؟ على كل حال لا تخافي شيئاً نحن معكِ، ولن نسمح لأحد بالاقتراب منكِ.

هدأتُ كثيراً بعد كلماتها التي يفوح منها عطر السكينة، والطمأنينة، ودلفتُ إلى حجرتي للراحة بعد كل ما مر بي اليوم.

تقلبتُ في فراشي مؤرقة لم يغمض لي جفن، ونظرتُ في الهاتف فإذا بالساعة الثانية بعد منتصف الليل، أدركتُ أن مرام قد سافرت باريس، وظللتُ أقلب خلال الهاتف أبحث عن أخبار تُقصِّر عليَّ الليل الطويل، وفجأة سمعتُ الهاتف الأرضي القابع على المنضدة بجوار فراشي يدق، فانتبهتُ، ولم أعرف ماذا أفعل أجيب أم أهمله؟ ولكني وجدتُ يدي تتسلل إليه فترفع السماعة، وما إن وضعتها على أذني حتى سمعتُ صوت عمي يتحدث مع أحد الأشخاص، فهممتُ بإغلاق الخط، فليس من عادتي التلصص على أحد، ولكن التقطت أذني صوتاً أعرفهُ جيدا، لقد كان صوت نبيل مهدي، وهو يقول لعمي: اغفر لي أرجوك لم أعلم منذ البداية أنها ابنة أخيك، وما إن علمتُ إلا وقد قمتُ بتهريبها من دبي، وقمتُ بحمايتها من أدهم.

امتقع لوني، ولم أكن مصدقة ما سمعت.

قتلتني الأسئلة التي دارت كالعاصفة التي تجتاح كل ما أمامها في رأسي

ما هذا؟ ما صلة عمي بنبيل؟ هل يعرفه قبل أن أخبره بما وقع لي؟ ومن هو أدهم؟

هل لعمي علاقة بما حدث لي؟

أمن كل البشر يا ربي لا ألجأ إلا لمن له صلة بالجريمة؟ عمي! رحماكَ يا رب.

علاقات تتكشف

في الصباح الباكر خرجتُ من حجرتي وبقيتُ بالشرفة الملحقة بالردهة أتأمل البحر وأشكو همومي، وأنا ذابلة العينين مقرحة الأجفان، جافاني النوم من هول الصدمة ليلة أمس.

أفكر هل أسأل عمي بصراحة عن علاقته بنبيل؟ هل سيصدقني القول؟ أم يكون هو من أعضاء هذا التشكيل العصابي الذي علمتُ به في دبي؟ أم أخبر أبي بما حدث معي؟

في النهاية وفجأة وجدتُ عمي أمامي. تدور التساؤلات في عينيه كل مدار، يسألني بلهفة ظاهرة:

_ ما بكِ يا فريدة، لازلتِ خائفة وقلقة؟

_ قليلاً

_ ألم تنامي جيدا؟ عيونك حمراء

_ ربما كانت بسبب البكاء، قل لي يا عمي لماذا تركت المنشية؟

تفاجأ عمي بسؤالي، ونظر إليَّ نظرة شك ثم قال:

_ فتح الله عليَّ، ورزقني من عملي، فاشتريتُ هذه الشقة ولكن لماذا تسألي؟

_كم ثمنها يا عمي؟

_ يا إلهي. هل هذا وقت هذه الأسئلة؟ ما علاقة ذلك بالأزمة التي تمرين بها؟

_ أبداً هذا مجرد سؤال خطر ببالي. ثم ابتلعتُ ريقي، ثم قلتُ ربما لبُعد شقتنا في العجمي ورغبتي في أن يشتري لنا أبي شقة بالقرب منكم، كنتُ أعلم في داخلي أنني لا أقول الحقيقة، ولكنني شعرتُ بالخوف فجأة من نظرات عمي، وبدأتُ أشكُ ولو قليلا في أنه يستدرجني ليعلم معلومات أكثر.

ابتسم عمي وقال لي:

المهم أنني أخبرتُ الشرطة بحمايتك، حتى لا يتكرر الاعتداء عليكِ مرة أخرى، وسأخبرك أولاً بأول بنتائج التحقيق.

فأومأتُ له بالموافقة. في حين ظهرت خالتي سناء وهي تقول هيا لتناول الفطور فقد أعددتُ المائدة منذ فترة.

بعد تناول الفطور وخروج عمي، طلبتُ من خالتي سناء أن أقرأ أحد الكتب من مكتبة عمي لأنني أشعر بالملل.

فلم تمانع، ودلفت معي إلى حجرة المكتب خاصتهُ، ثم أضاءت الحجرة وقالت لي:

_ البيت بيتك يا ابنتي، اختاري ما تشائين، ويمكنك القراءة هنا كيفما أردتِ.

سأذهب أنا لإعداد طعام الغداء وتنظيف المنزل مع ليا.

فقلتُ لها: ليا! من تكون هذه؟ لم أرها من قبل

_ليا هي الفتاة التي تساعدنا في أعمال البيت، فكما تري زوجة عمك كبرت في العمر، ولم تعد صحتها كما كانت. الفتاة شامية وكانت في زيارة لأسرتها حين وصلتِ إلى هنا، وعادت اليوم.

فابتسمتُ وقلتُ لها: حسنا على راحتك، أنا سأختار كتاب، لعلي أشغل نفسي بالقراءة بعض الوقت.

هي أوصدت الباب خلفها، بينما أنا فتحت بابا للحياة أخطو فيه خطواتي بثقة وشغف ورغبة في المعرفة.

مررتُ ببصري في الحجرة الكبيرة التي كانت تتسع لمكتبة ضخمة من أعظم ما رأيتُ، وفى أحد زوايا الحجرة تمثال كبير نحاسي لفتاة تحمل كتابا في يدها وتهم بقراءته، وفي صدارة الحجرة مكتب خشبي ضخم مغطى بالزجاج اللامع فيما يشبه البلور، برغم سمكه الذي يتعدى العشرون ملليمتر، وعليه عدة ملفات وكتب وأقلام متنوعة، ومصباح معدني للقراءة وغيرها.

اقتربتُ من المكتبة بتردد، فوجدتُ بعض الأتربة على الكتب مما يشي بعدم مسها منذ مدة، وكانت مقسمة إلى عدد من الرفوف فوق أحدها كتب قانونية، والرف الآخر كتب سياسية، والثالث كتب نفسية، والرابع كتب

طبية باللغة العربية، وأخرى باللغة الإنجليزية. وبعض الروايات العربية والمترجمة، إلى جانب الركن الديني الغني بأمهات الكتب.
تعجبتُ من الكم الهائل من الكتب، والمعارف في هذه المكتبة، وتمنيتُ لو اقتنيتُ في يوم من الأيام مثيلتها.

اخترتُ كتاب مقالات متنوعة، وجلستُ على مكتب عمي أتصفحه، فراق لي، وأتممتُ قراءته خلال ساعتان. شعرتُ بهدوء أعصابي وبأني أقدر على التفكير الآن.
قررتُ ألا أخبر عمي بأمر المكالمة التي استمعتُ إليها بالصدفة ليلا، وأن أحاول معرفة صلته بنبيل دون أن يلاحظ ذلك، فعزمتُ على أن أطلب منه العمل معه مؤقتا لحين عودتي إلى القاهرة.
تركتُ حجرة المكتب، وانتظرتُ عمي في الردهة لحين عودته من عمله، وبعد تناول الغداء أخبرني أن الشرطة استجوبت البواب وابنته، وأثارت أقوالهما الشك في نفس الضابط، فأمر بتفتيش مسكنهما، وعثرت الشرطة على قطعة صابون تحمل بصمة مفتاح، فلما تم عرضها على المعمل الجنائي تأكد من مطابقتها لمفتاح شقتك.

كنتُ فاغرة فاهي مشدوهة من المفاجأة، فلم أشك فيهما أبدا، وأخبرني عمي أيضا أن البواب لا ذنب له، ولكن البنت هي من طبعت المفتاح على قطعة الصابون بغرض عمل مفتاح للباب وتسليمه لأحد الأشخاص الذي عرض عليها مبلغ من المال مقابل ذلك.

فقلتُ: من يكون هذا الشخص؟ ولماذا يريد دخول شقتي، وعما يبحث عندي؟ فقال عمي:

_ أثبتت الشرطة أن الهدف من اقتحام شقتك لم يكن السرقة بل كان البحث عن شيء آخر

صمتُ طويلا. وقطعت خالتي سناء صمتي قائلة:

_ لماذا يبحثون عندها يا إبراهيم؟

_لا أعرف، ولم تصل الشرطة لذلك بعد.

فقلتُ:

_ لقد أعجبني جو القضايا والجرائم وطرق كشفها فهي كالألغاز، فهل تسمح لي بمساعدتك يا عمي في مكتبك ريثما أعود إلى القاهرة، حتى أشعر أنني لستُ عبئا عليكم، ولأحس بقيمتي في الحياة.

_ماذا؟ كيف تقولين ذلك أنتِ ابنتنا، أتدفعين تكلفة بقائك معنا؟ أيصح ذلك؟

_ أرجوك يا عمي ليس من أجل النقود فقط، فأنا في حاجة إلى إثبات كفاءتي حتى لنفسي

_حسنا. فلتأتي معي غدا للمكتب حتى أدربك على العمل الجديد

تحركت المياه الراكدة في حياتي بهذه الموافقة، وعرفتُ أنني سأخطو أولى خطواتي نحو كشف الحقيقة.

عالم من القضايا

يقع مكتب عمي في حي سموحة، في أحد الأبراج السكنية الجديدة التي تتميز ببنائها الفني الحديث، جدران البرج مغلفة بالزجاج الأزرق الفاتح الذي يكسو الواجهة من الخارج في منظر بديع، وفي مدخلها عمودان ضخمان بشكل اسطواني مغلفان بالجرانيت القوي يصل قطر الواحد إلى ثلاثة أمتار، ويقع بصرك حين تضع قدمك بالمدخل على مرآة زجاجية عريضة تغطي الحائط الأيمن بالكامل، بينما تغطي نباتات الزينة الحائط الأيسر وفي الصدارة عدة أبواب للمصاعد الإلكترونية التي لا تتوقف عن الصعود والهبوط لكثرة مرتادي البرج حيث أن به عدد من عيادات الأطباء، ومكاتب المحامين، والمحاسبين.

دلفنا المصعد، ووصلنا إلى الطابق السابع الذي يحتوي على عشرة شقق ومكتب عمي ضمنها.

رافقته داخل المكتب، وكان في استقباله عددا من الموظفين والمحامين تحت التدريب، فدخلتُ معه حجرة مكتبه، وفي حينها استدعى العاملين جميعا وعرفهم بي وأخبرهم أنني سأعمل معه مديرة لمكتبه بدلاً من الأستاذ راجي الذي ترك العمل منذ أسبوع.

رحب الجميع بي، وتسلمتُ مكتبي وأنا غير مصدقة سرعة الأحداث.
طلبتُ من عمي حضور اجتماعاته مع المحامين لأخذ فكرة عامة عن القضايا، ربما فهمتُ العمل أسرع، ولكي أؤدي ما يُطلب مني بدقة، فلم يمانع وقال باسما:
_أتمنى أن تستمر حماستك هذه إلى الأبد.
كانت حجرة مكتبي قريبة من حجرة مكتب عمي، وقد تطوع أحد الموظفين، وهو سمير الوكيل بتدريبي وإفهامي كيف يسير العمل، وأطلعني على مكان الملفات، وأرقامها المسلسلة وكيفية ترتيبها للحفاظ على سهولة جلبها وقت الحاجة.
كما أطلعتني السكرتيرة على موضع أرقام العملاء، وأصحاب القضايا وأسماء الشركات المتعاملة مع المكتب، وكيفية توزيع القضايا على المحامين العاملين بالمكتب.
وفي المنزل، أخبر عمي زوجته بأنه مسرور جدا مني، ولم يكن يتوقع نشاطي واجتهادي في العمل، كما قال لي:
_لا أعرف كيف سأستغنى عنكِ إذا تركتينا ورجعتي القاهرة؟ فقلتُ له على الفور:
_مَن يدري لعل العمل يطيبُ لي، وأترك القاهرة وأظل هنا معكم.
أشاعت كلماته في قلبي البهجة، وأكسبتني بعض الثقة في قدراتي، ولكنني لم أنس أبدا الألغاز التي عليَّ حلها أولا.

كانت روح النجاح تدفعني للعمل بجدية، ولم أركن إلى قرابتي لعمي أو إلى وضعي المؤقت، ولكن اجتهدتُ في ترتيب مواعيد عمي، وتلبية أوامره بدقة متناهية.

ولكن في أحد الأيام بعد مرور أسبوع على عملي مع عمي قال لي:

_ لابد أن تخبري أبيكِ بمكانكِ، حتى لا يغضب منكِ ومني وسوف أستأذنه في بقائك عندي ولا تخشي شيئا فأنا سوف أقنعهُ.

فكرتُ قليلا ثم قلتُ له:

_ لا مانع لدي، أخبره يا عمي ولكن أرجو أن تخبره وتخبر أمي أنه هناك خطرُ ما يهددني في حين علم أحد بعنواني هنا في الإسكندرية.

فوافق عمي وفي المساء فعلا أخبر أبي الذي غضب وثار وتوعدني بالعقاب، ولكن عمي حاول تهدئته، وطلب منه الحضور غدا ليشرح له الأمر بالتفصيل ليفهم دوافعي في هذا التصرف. فوعده أبي بالحضور في اليوم التالي.

ثورة عارمة

لم يكن أبي مدركاً للمخاطر المحدقة بي، ولكن عمي شرح له الأمر بالتفصيل، فغضب وثرثر بكلمات تعني لماذا لجأت لكم من دوني، ولماذا حتى لم تخبر والدتها. ألهذا الحد هي تشعر بأننا أغراب عنها.

استدعاني عمي من مكتبي، وعند مقابلة أبي لم أمهله حتى يلومني وإنما ارتميت بين ذراعيه وأنا أبكي وأقول:

أرأيت يا أبي ابنتك ماذا حدث لها، كنتُ خائفة، قلقة، حتى بعد عودتي من الخارج لم يتركوني وهاجموا شقتنا في العجمي. استدررتُ عطفه بدموعي، فرقّ في الحال وقال:

_ لا عليكِ يا ابنتي لا تخافي نحن جميعا معكِ وفدائك، ولن يمسكِ سوء

لم أعطه فرصة للهجوم عليَّ، وقد انشغل بتطميني، ووصله شعوري بالقلق المستمر، فقلت له:

_ ولكني يا أبي أخشى أن تغضب مني أمي، صدقني لم يكن أمامي أي اختيار كانوا سيصلون إليَّ لو رجعتُ إلى عنواني القديم بالقاهرة.

فقال: أنا سأشرح لها الأمر، وهي ستقدِّر لا تخافي.

فقال عمي:

_ لابد أن تتغدى معنا اليوم، سننصرف بعد قليل، وستأتي معنا إلى البيت.

_ ولكني سأعود إلى القاهرة الليلة ولا وقت لذلك

_ لابد أن تأتي حتى لتعرف عنوان عمي الجديد، وإذا أرادت أمي أن تراني فلتتفضل وتأتي.

فوافق أبي مضطرا، واستقبلته زوجة عمي بترحاب شديد وأبدت له رغبتها في رؤية والدتي ليجتمع شملهما من جديد. فوعدها أبي بذلك عن قريب.

ما إن علمت أمي بعودتي من الخارج، وعدم إخباري لهم إلا وثارت ثائرتها وغضبت وتوعدت بمقاطعتي، وحاول أبي أن يشرح لها ما حدث دون جدوى. وبعد عدة أيام جلست واستمعت إليه، وبكت من أجلي. كما أخبرتني فيما بعد، وطلبت من والدي زيارتنا في الإسكندرية.

حينما رأيتها شعرتُ أنني لأول مرة أعرفها، كانت هزيلة جداً، ويبدو عليها السن الكبير، وكانت حنونة، طيبة تتكلم بصوت هادئ حزين، كانت تحمل همي بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معاني، وأنا شعرتُ بالقلق بسبب ما تسرب إلى نفسي من خوفها عليَّ وكأنني كنتُ نائمة أو مخدرة، وأفقتُ فجأة على خطر مدقع.

عادت أمي إلى القاهرة رغم توسلات عمي وزوجته بالبقاء معنا حيث أن الشقة كبيرة وتسع العائلة بأكملها، ولكن دون فائدة فقد عزمت على السفر والتواصل معي عبر الهاتف والدعاء لي أن تمر المحنة دون خسائر.

طلبتُ من أبي وأمي في الهاتف أن يبقيا في الإسكندرية بالقرب مني لكي أطمئن قليلا، وربما احتجتُ منهم أي مساعدة ولكن أبي أجَّل هذا إلى حين يسوي أوضاعه بالقاهرة ثم يأتي.

ظللتُ أساعد عمي وأتعلم الكثير من ألاعيب المحامين لكسب القضايا، وكان له صلة بأحد العملاء تتم في سرية تامة، ويمنع حضور أي موظف من مكتبه خلال اجتماعاتهم الخاصة.

وقد أتاح لي عملي سماع بعض مكالمات عمي، وكنتُ أتمنى لو عثرتُ على دليل يثبت الشكوك التي تتصارع في رأسي، حتى سمعته في احدى الليالي يتحدث في هاتف المنزل من غرفة مكتبه مع امرأة تدعى روزا وكان يخبرها أنه سيلاقيها في روما يوم الخميس القادم للتباحث حول موضوع هام.

بعدها في اليوم التالي سألت مرام عن جدول رحلاتها لهذا الأسبوع، وعلمتُ منها أنها ستسافر في رحلة طيران يوم الخميس إلى روما، فتصنعتُ البهجة والأمل في أن تصحبني معها إلى هناك، فكم تمنيتُ السير في شوارعها العتيقة والتمعن في الآثار الرومانية القديمة التي قرأتُ عنها طويلا ووددتُ رؤيتها على الطبيعة.

فتهلل وجهها وأخبرتني أنها سوف تحجز لي على متن تلك الرحلة لنكون معا خلال جولة سياحية رائعة بين جنبات روما ونابولي وغيرها من مدن إيطاليا العريقة.

أخبرت مرام عمي وزوجته بأنني سأرافقها يوم الخميس في رحلتها وأننا سنعود معا إلى البيت بإذن الله فوافقا، ولم يسألا كعادتهما عن وجهة الرحلة، وكنتُ متحسبة، من علمه أننا سنكون معه في نفس المدينة لربما رفض أو غيَّر موعده الذي كنتُ أريد معرفة تفاصيله، وقد راودتني الظنون أنني ربما ظلمته أو تسرعتُ في الحكم عليه وهو ليس مذنب.

في صباح الخميس خرجتُ مع مرام، ورافقتها خلال الرحلة إلى روما، هي ترتدي ملابس المضيفات، وأنا بملابسي الشتوية العادية أغطي رأسي بوشاح ثقيل وأرتدي معطفا صوفياً من الجوخ لمعرفتي بانخفاض درجات الحرارة هناك.

قبل السفر سجلتُ في أحد الوريقات العنوان الذي اتفق عمي مع روزا على لقائها فيه ثم أخفيتها بداخل جيب معطفي، وكنتُ حريصة عليها.

وما إن وصلنا روما إلا وقد أخبرتُ مرام برغبتي في الغداء في المقهى المدون بالورقة، فلما قرأتها أخبرتني إنه فعلا مقهى شهير في روما، وأننا سنتجه إليه لتناول الغداء والراحة قليلاً قبل العودة لاستكمال الجولة السياحية التي اتفقنا عليها.

دلفنا إلى المقهى، وكان مزدحماً بالطاولات التي تحمل أصناف الطعام المختلفة، وكنتُ منشغلة بالبحث يمينا ويسارا عن عمي، وبعد نصف الساعة حين شعرتُ بفقدان الأمل في العثور عليه، لمحتُه من ظهره وهو

يغادر المقهى بصحبة امرأة مسنة، فاستأذنتُ مرام مدعية ذهابي إلى الحمام، ثم خرجتُ خلف عمي لأتتبعه.

استقل سيارة أجرة، وأنا استأجرتُ سيارة مثلها خلفه، بينما كان قلبي ينبض لا أعرف ما سيؤول إليه أمري في هذه المدينة الغريبة عني.

تتبعتُ عمي حتى توقفت سيارته أمام بناية قديمة في شارع فيا فراتينا العريق، وعندها نزلتُ أمام نفس البناية، وحاسبتُ السيارة التي انصرفت ودلفتُ أنا إلى المبنى بتؤدة، ثم لاحظتُ إنه توقف بالطابق الخامس فتوقفتُ فيه أيضا بعده، ووقفتُ أمام الباب وكأنني أقرأ أحد لافتات الأطباء بالبناية، فترامي إلى سمعي همهمات ثم كلمات تتضمن اسمي واسم نبيل واسم أدهم وبعد دقائق سمعتُ طلقات رصاص مدوية من داخل الشقة، فارتعبت وانطلقتُ مسرعة هابطة الدرج في ثواني. ثم استقللتُ سيارة إلى المقهى حيث كانت مرام تنتظرني. وما إن رأتني إلا وصاحت بي ماذا بكِ؟ أين كنتِ؟

_ أبداً لا عليكِ كنتُ فقط عائدة من الحمام وافتقدتُ الطريق ووجدت نفسي خارج المقهى

فارتعبتُ وقلقتُ من فكرة عدم ملاقاتكِ.

فنظرت إليَّ بشيء من الريبة، وقالت لي أنت لا تبدين بخير، أرجوكِ تعالي إلى المشفى لأطمئن عليكِ.

رفضتُ بشدة، وصممتُ على المغادرة إلى الفندق الذي سنبيت فيه من أجل الراحة. حبذت مرام الفكرة وصحبتني إلى الفندق ونزلنا في غرفة 99 مما ذكرني بأنه نفس رقم الحجرة التي دخلتها في دبي. فارتبكتُ وتغيرت نبرة صوتي وبدأت بالشعور بالإجهاد الشديد.

أويتُ إلى فراشي محاولة النوم للهرب من أفكاري وخواطري، ولا سيما أن صوت طلقات النار كان يطاردني، ويملأ أسماعي.

في الصباح الباكر طلبت مني مرام الذهاب معها إلى السوق لشراء بعض الهدايا والتنزه في المدينة التي كنتُ متحفزة لزيارتها، ولكنني اعتذرت لها بسبب الصداع الذي يضرب رأسي، وبعد دقائق من خروجها، خطرت لي فكرة شرعتُ في تنفيذها.

كنتُ أعرف طريقة للتلصص على الهاتف المحمول علمتني إيها إحدى زميلاتي التي كانت تعمل معلمة للحاسب الآلي بنفس المدرسة التي عملتُ بها في القاهرة، حيث أعطتني رابطاً أرسله إلى الهاتف الذي أريد التجسس عليه وسماع مكالماته، وعندما يقوم صاحب الهاتف بفتحه حين الضغط عليه، يكون قد وقع في المصيدة، والتقط الطُعم فيمكنني أن أستمع إلى مكالماته.

كنتُ قد اشتريتُ شريحة هاتف جديدة احتياطيا من مصر قبل السفر تحسباً لأي ظرف طارئ، فأدخلتها بالهاتف وكتبتُ على الشاشة الرابط ثم أرسلتُه إلى عمي الذي ضغط عليه عندما رآه، حيث إنه لم يكن على دراية

جيدة بفكرة التجسس على الهواتف والألاعيب الحديثة. ومن ثَم اطمأننتُ بعض الشيء إلى أنه مازال على قيد الحياة وأن الطلقات النارية التي سمعتُها ظهرا بالبناية السكنية لم تصبهُ.

ولكن في مكالمة بعدها سمعتهُ يخبر من يُدعى أدهم أنه سيحضر تسليم عشرة جثث للأطفال في العاشرة مساءاً، ثم سيسلمها إلى أندرو بعدها بساعة في جادة مونتي حيث يقابله الساعة العاشرة والنصف.

إذن قد تأكدتُ أن عمي له نشاط إجرامي خاص بتجارة الرقيق الأبيض أو ما شابه. فكيف سأتصرف الآن؟

قلق بالغ

تعرضتُ طيلة الليلة إلى الكوابيس والأحلام المزعجة، وفي صباح الجمعة فتحتُ عيوني على صوت مرام تحثني على الاستيقاظ للخروج وتناول الفطور في أحد المتنزهات العامة، مازالت تعتقد أنني هنا لأجل الترفيه والتنقل، ولابد ألا أُخلف ظنها.

نهضتُ من فراشي وارتديتُ ملابسي الثقيلة، وخرجتُ معها وأنا شاردة لا أتحدث كثيراً بينما هي تثرثر وتتعجب من أمري لمَ لا أشاركها الاستمتاع بالرحلة!

قلتُ في نفسي لو علمت مرام ما يحدث في الواقع، وحقيقة والدها لكانت هي الأجدر بالقلق والشرود مني.

بعد الإفطار صحبتني إلى الفاتيكان لزيارتها وهي أصغر دولة في العالم، وتضم أعرق الكنائس الكاثوليكية في العالم.

ثم زرنا عدداً من المعارض والمتاحف، وشرعنا في العودة إلى الفندق لتناول الغداء. كنتُ مازلتُ ساهمة، متألمة أفكر فيما مر بي، وما يجب عليّ فعله حين عودتي من إيطاليا. وأفكر في الأطفال المقتولين، وماذا سيكون مصير جثثهم.

في يوم السبت أعددنا حقائبنا للسفر إلى مصر، ودلفنا إلى الطائرة.

تركتني مرام واتجهت إلى قمرة القيادة، لتؤدي بعض الأعمال وأنا حاولتُ الاسترخاء. ولكن قطع عليَّ هدوئي صراخ احدى المسافرات وكانت تبدو أفريقية بسبب لون بشرتها الداكن وشعرها المجعد المميز كانت تصيح ابنتي. ابنتي كانت معي منذ قليل ابحثوا معي عنها.

ساد القلق والهرج والمرج، وكل المسافرين شرعوا في البحث عن الطفلة التي وصفتها أمها بأنها ذات الخمسة أعوام سمراء البشرة، ولم يُعثر لها على أثر.

شعرتُ بالاضطراب، وأنا أعلم ما يشارك فيه عمي من جرائم، فربما كان للتشكيل العصابي الذي يتبعه علاقة باحتفاء البنت.

توقف عقلي عن التفكير فانكمشتُ في مكاني، ورفض الطيار الإقلاع بالطائرة. ثم طلب أمن الميناء الجوي إخلاء الطائرة تماما من المسافرين ليتمكن من البحث عن الطفلة، وحتى يتم تفريغ الكاميرات واستعراض حركة المسافرين منذ صعودهم على متن الطيارة.

بحثتُ عن مرام ضمن الزحام ولم أعثر عليها فبقيت في أحد صالات المطار حتى انتهاء الإجراءات.

بعد مرور ساعتين سمعنا صوتا ينادي في مكبرات الصوت أن الرحلة رقم **5320** وهي رحلتنا ستقلع بعد عشرين دقيقة وعلى المسافرين التوجه إلى الطائرة حالا.

اتخذنا مقاعدنا بالطائرة، وسألتُ احدى المسافرات في المقعد الذي أمامي:

_ هل عثروا على الطفلة؟ أجابت بالنفي، وبأن الرحلة ستسافر بدون المسافرة وابنتها التي تبحث عنها.

بحثتُ عن مرام في كل مكان ولم أرها، وأقلعت الطائرة بدونها هي الأخرى.

وصلتُ القاهرة على متن الطائرة، ونفسي محملة بالقلق والخوف على مرام، والحيرة تملأني بسبب ما علمت، ولا ألوي على شيء.

فضفضة ومشورة

قررتُ أن أشرك أحداً غيري في قصتي، ولم يكن من الممكن إخبار أبي وأمي بما علمتُ، فهما سيكذبانني ولن يصدقا أن عمي بهذه الأخلاق، كما أنهما سوف يقولا لي هل هذا جزاء المعروف؟ فعزمتُ على اختيار أحد ليس له علاقة بعائلتي مع الاستمرار في منزل عمي حتى أعرف ما ينوي عليه.

انتهزتُ فرصة وجودي بالقاهرة، فاتصلتُ بالأستاذ شريف مدير المدرسة التي كنتُ أعمل فيها وكنتُ أرى منه اهتمام بشأني وأعلم عنه الأخلاق الفاضلة وأنه برغم صغر سنه إلا أن اجتهاده في عمله هيأ له الترقي في المناصب حتى صار مديرا للمدرسة، ثم اشتراها وصارت ملكاً خاصاً به منذ عدة سنوات.

رحب بي بحرارة، وسألني لمَ تركتُ المدرسة، فأخبرته بضرورة مقابلته لأمر هام قبل أن أسافر إلى الإسكندرية فوافق، وانتظرني في مقر عمله بالمدرسة بعد ساعة.

حين قابلته كان باشاً واستقبلني بحفاوة وترحاب شديدين، وسألني عن أحوالي ولماذا لم أعد إلى عملي بعد انتهاء المؤتمر؟ فطلبت منه عمل إجازة ثم بدأت أقص عليه كل ما حدث بالتفصيل وهو يستزيدني، ويُمطرنى بالأسئلة، وأنا أجيب حتى أطلعتَه على كل ما كان من أمري وأمر عمي،

فاندهش وتعجب بسبب غرابة الأحداث، وثقتي فيه، التي جعلته يظن أنه ذو مكانة رفيعة عندي. فأخبرته بحساسية موقفي وصعوبة التصرف وسط هذا الزخم من الأحداث، وعدم وجود أصدقاء أو مقربين لي أستشيرهم في أمر كل ما كان.

حملق في سقف الحجرة دقائق ثم نظر إلي وقال:

_ لابد أن نخبر الشرطة

_ ولكنه عمي، من الصعب على نفسي تقبل فكرة الإبلاغ عنه، وأنا لستُ متأكدة من تورطه، كيف سأرد له الجميل بالإبلاغ عنه؟

_ ماذا؟ جميل؟ أليس له يد في الجريمة التي تم الزج بكِ خلالها في دبي، أم أنني لم أفهم كلامك؟ وماذا بشأن الجثث؟

_ لا. أنت فهمت، ولكن يا أستاذ شريف ألا ترى أنني سأتورط أكثر وربما تم تسليمي للإمارات، ثم إنني أخشى أن أكون مقيدة لدى الإنتربول كهاربة من العدالة.

_لا يوجد هذا الكلام، ألم تسافري روما، ولم يتم منعك في المطار؟ إذن لستِ مقيدة على قوائم المطلوبين للعدالة. لي صديق رئيس نيابة سنذهب إليه ونقص عليه الأمر كله منذ البداية ونسأله عن التصرف القانوني الذي يحميكِ.

_اتفقنا. ولكن أرجو أن يتم ذلك على وجه السرعة، فأنا سأزور أسرتي اليوم وغداً سأعود إلى الإسكندرية وأمكث بها فترة مع عمي لأستأنف عملي في مكتبه.

_تمام. سأتحدث معه اليوم وبإذن الله أحدد لكِ موعد بأسرع ما يمكن.

انصرفتُ من عنده وأنا ممتنة، وأشعر بالارتياح بعض الشيء، ثم استقللت سيارة وذهبتُ بها إلى حي العباسية حيث منزلنا _منزل أسرتي.

منزل أبي

دق جرس الباب في المنزل وسارعت أمي بفتح الباب، وصرخت بسعادة فريدة حبيبتي أخيرا رجعتي إلى منزل أسرتك، وفتحت ذراعيها لتضمني إلى صدرها، آهٍ يا أمي كم كنتُ في حاجة إلى هذا العناق منذ زمنٍ طويل.

جلستُ معها وبكيتُ لشعوري بالقهر وعدم الحرية في فعل ما تمنيت.

قالت لي أمي:

_ سنتناول الغداء بعد قليل والدك كلمني بالهاتف وهو في الطريق.

_ قبل حضوره أتمنى لو استطعتم الحضور معي إلى شقتنا بالإسكندرية، عملي أصبح هناك ولن أتأخر عليه أكثر من هذا.

_ أنا فعلا قلقة عليكِ والأحلام تتواتر عليَّ عنكِ، فأراكِ دائما خائفة وجِلة لا أدري لماذا؟ أعدكِ أنني سأحاول إقناعه بالسفر معكِ إلى الإسكندرية.

دقائق وكان مفتاح أبي يدور بالباب معلنا قدومه من عمله، وعندما رآني أسرع إليَّ مرحبا وقال أهلا. أهلا أشرقت الأنوار.

سلَّم عليَّ بحرارة، مما شجعني أن أخبره برغبتي في سفرهم معي إلى الإسكندرية، ولو على سبيل العيش مؤقتا هناك.

فقال لي:

_ ربنا يوفقنا إلى ما فيه الخير. هيا. هيا للغداء ألم تفتقدي طعام أمك؟

فابتسمتُ وشعرتُ بالحنين للماضي، ولتجمُعنا معاً ولكل ما تغير في حياتي.

بعد الغداء تناولنا الشاي بالنعناع المحبب إلى أبي في الشرفة، وجلستُ مع أبي وأمي أقص عليهم بعض الأحداث التي وقعت لي حين سافرتُ إلى دبي، وحين عاودتُ السفر على متن الطائرة مع مرام إلى روما، وكيف افتقدتها في الطريق ولا أدري إن كانت عادت أم مازالت هناك.

فتعجبا من أمري ومما أتعرض إليه من متاعب تلاحقني أينما ذهبت، وأحسا بالقلق عليَّ، وحينها أخبرني أبي أنهما سيرافقانني إلى الإسكندرية غدا، وسوف يبقيا معي بشقتنا في العجمي.

في المساء اتصل بي أستاذ شريف وأخبرني أن صديقه ينتظرنا غداً في العاشرة صباحاً، وطمأنني أنه وعدهُ بالخير.

أخبرتُ أبي أن لديَ موعدا قبل السفر غدا، فقال لي:

_ حسنا سأذهب إلى العمل وأحصل على إجازة، لنسافر معا.

في الصباح اتجهتُ إلى المدرسة لأقابل الأستاذ شريف الذي صحبني إلى صديقه عبد الفتاح بك وكيل النيابة، فاستقللنا سيارته واتجهنا إلى مقر عمله، وهناك قابلنا بوجه مبتسم في جدية، وطلب لنا القهوة ثم قال لي:

_ لابد أن يأخذ الأمر الصبغة القانونية لحمايتك، وإظهار حُسن سَيرك منذ البداية فإذا ما دبر لكِ أحدهم أي مكيدة نستطيع حينها مساعدتِك، وإخراجك منها بيسر.

فأومأتُ له بالموافقة، ثم بادرني بسؤاله:

_ هل لديكِ استعداد لأن تقُصي عليَّ كل ما حدث معكِ بالتفصيل دون أن تتركي أي شاردة أو واردة؟

_ نعم أكيد

_إذن تفضلي.

_ في البداية كنتُ في فندق بمدينة دبي غرفة رقم 99 وتفاجأت في أول يوم لدخولي الفندق بطفلة مقتولة على الفراش في حجرتي.....

قصصتُ عليه كل شيء بمنتهى الصراحة، حتى ما حدث لي في الطائرة وأنا عائدة من روما. وفي النهاية قال لي:

_ يبدو لي أنه ليس عمكِ فقط المتورط مع العصابات الدولية وربما المافيا وإنما مرام ابنته أيضا ربما كان لها علاقة بعمله.

_ لا لا مرام بعيدة عن ذلك، أنا عشتُ معهم وأؤكد لك أنها بريئة.

_ لا تتسرعي كل شيء سيظهر في وقته، ولا تحكمي على أحد من خلال علاقتك الشخصية به، نحن سنعرف الحقيقة بعد مراقبتهما، وسنضع مكتب عمكِ بالإسكندرية تحت الملاحظة لنتأكد من نشاطه.

ابتلعتُ ريقي بصعوبة وخَيِّلَ إليَّ أنني أقدمتُ على عملٍ خطير. ولكنني تجرأتُ وسألته عن موقفي في القضية إن تم إثارتها والتحقيق فيها، فأكد لي أنني بإبلاغي هذا أصبحتُ شاهدة ولن يصيبني أي مكروه، ولا مسؤولية تقع على عاتقي.

انصرفنا من عنده بعد أن شكرناه، وشكرتُ أنا بدوري أستاذ شريف، واستأذنته في الانصراف لأجل السفر.

عودة إلى موقع الأحداث

اتصلتُ بمنزل عمي، ونحن في الطريق إلى الإسكندرية، وأجابتني زوجته فقالت لي باهتمام:

_ أين كنتِ يا فريدة قلقنا عليكِ كثيراً متى عدتي من السفر؟

_ وصلتُ القاهرة أول أمس ولكنني مررتُ على منزل أبي، وأصحبهم معي الآن للبقاء بالإسكندرية لبعض الوقت

_ مرحبا بهم، تعالوا جميعا فهذا ما أتمناه واللهِ

_ سلمتي يا غالية نحن سننزل في شقتنا بالعجمي، ولكنني سأمر عليكم مساءاً لأجمع حاجياتي

ولكن طمئنيني على مرام، فقد فقدتُ أثرها في الطائرة، هل عادت من روما؟

_ طبعا عادت أول أمس. غريبة إنها لم تخبرني أنكما لم تعودا على متن نفس الطائرة

صمتُ قليلا فقد ثارت الشكوك في رأسي. ثم قلتُ لها:

_ إذن سنلتقي مساءاً بإذن الله، مع السلامة

ثم التفتت إليَّ أمي، ثم سألتني:

_ألم تكن مرام معكِ في روما؟ لمَ إذن عدتِ بدونها؟

فأجبتها:

_ لا أدري، نحن بالطريق الآن سنتكلم فيما بعد وأشرح لكِ كل ما حدث بالتفصيل.

وصلتْ بنا السيارة إلى البناية السكنية التي تقع بها شقتنا، فأخرجنا الحقائب، ونادى والدي على البواب ليحملها إلى المصعد، فحضر مسرعاً ورحب بنا، ثم صعدنا إلى الشقة، وحين فتح والدي الباب انبعثت رائحة كريهة من داخل الشقة، أنار المصباح ودخلتُ مع أمي لكي نفتح النوافذ، فصاحت قائلة: ما هذا؟ الشقة مُدمرة، كل محتوياتها مبعثرة، ولا يوجد شيئا في مكانه، فوضى عارمة في كل مكان، كيف حدث ذلك؟

فأجبتها:

_ لقد أبلغتُ الشرطة مع عمي من قبل، حين حدث ذلك، ولم تسفر التحقيقات عن شيء، ماعدا أن ابنة البواب اتضح أنها أعطت نسخة المفتاح لأحد الرجال مقابل مبلغاً من المال ويبدو أنه هو من دمر الشقة بهذا الشكل.

_ من هذا الرجل، ولم فعل ذلك؟ هل تم القبض عليها؟

_ لا أعرف يا أمي صدقيني ولم يتوصلوا إليه حتى الآن

فقال أبي:

هيا بنا لننظم ونرتب كل شيء، ونحصي التلفيات واكتبوا لي ما تريدون لأذهب وأشتريه

من السوق التجاري الواقع في أول الشارع.

شرعنا في أعمال التنظيف والترتيب، وإزالة الأثاث من على الأرض، وكانت الأدراج كلها ملقاة على الأرضية، والكتب مبعثرة والمكتبة تكاد تخلو منها، كما كانت المفروشات ملقاة على أرضية حجرات النوم، والقاذورات والأتربة موزعة على الشقة، وحتى الأوراق والفواتير التي نحتفظ بها في المكتب مُلقاة على الأرض.

بعد عذاب جمعنا كل شيء، ورتبنا الكتب والأوراق وبدلنا المفروشات، وقمتُ بتنظيف الأرضية وغسل كافة الأواني بالمطبخ.

طلبت أمي من أبي أن يغير مزلاج الباب، والطبلة والمفاتيح لنشعر بالأمان.

كما كتبتُ لأبي قائمة بمستلزماتنا من أطعمة وماء وعصائر. فذهب على الفور لإحضارها، وبقينا نحن نكمل عملنا إلى المساء.

لم أنعم ولو بقسط قليل من الراحة، فقد جاء موعد زيارتي لعمي، ولم تستطع أمي أو حتى أبي اصطحابي إلى هناك، فقد كانا في قمة التعب، وفضلا البقاء بالمنزل في انتظاري.

دققتُ الجرسَ ، ففتحت لِيا الباب، ودعتني للدخول مُرحبة، فسألتها عن عمي وزوجته ومرام، فقالت سأخبرهم بقدومكِ حالاً.

بعد قليل استقبلتني مرام بالترحيب وسألتني كيف عدتُ من روما، كما ادعت أنها بحثت عني في كل مكان فلم تعثر عليّ،وأنها عادت يومها على متن طائرة أخرى.

فقلتُ لها حمداً لله على سلامتك، وثم سألتها: هل عثرت السيدة التي كانت بالطائرة على ابنتها المفقودة؟

تغير وجه مرام فبدا لي أنها لم تتوقع سؤالي، ثم قالت:

_ من أين لي أن أعرف؟

لقد سافرتُ بعدها ولم أسأل عما وصل إليه الأمر.

ظهرت والدتها تحمل أكوابا من العصير وبعض قطع الحلوى، وسألت عن والدي ووالدتي، فأخبرتها أنهما يرسلان لهم السلام وأنهما مازالا متعبان من وعثاء السفر وسوف يمران عليها لاحقا في يوم آخر.

ثم استأذنتها أن أدخل الحجرة التي أقمتُ بها سابقا لكي أجمع أشيائي. فأذِنت لي، فدخلتُ الحجرة، وجهزتُ حقيبة السفر ثم وضعتُ بها كل ما تبقى لي من ملابس وكتب، وإكسسوارات وغيرها، ثم أغلقتها جيدا، ولكن لفت نظري أن أحد الأحزمة بداخلها كان منزوع من مكانه، كما لاحظتُ أن أحد أثوابي عليه آثار مادة دهنية ربما كانت كريما أو ما شابه. علمتُ وقتها أنه كان هناك من يفتش أمتعتي، وأن عليَّ الحذر فيما هو قادم.

لم أسأل أحد عما لاحظتُ، وآثرتُ الكتمان وكأنني لم ألحظ شيئا. ثم سألتهم عن عمي، فقالت زوجته إنه منذ أن سافر معنا في نفس اليوم لم يعد حتى الآن.

شعرتُ بالقلق، وسألت مرام إلى أي دولة كان مسافرا؟ فأخبرتني أنه كان في روما في نفس التوقيت دون أن يخبرنا.

تذكرتُ صوت طلقات النار، وقلتُ لها أدعو الله أن يطمئنا عليه، ألم يتصل بكم من هناك؟

فقالت والدتها:

_ أبدا يا ابنتي، مما يثير رعبي.

_ سأعود إلى عملي في مكتبه غدا، وسأحاول السؤال عن عنوانه أو هاتفه والتواصل معه وان شاء الله خير.

_ يا رب

انصرفتُ من عندهم، والخوف يتخلل كل ذرة في كياني، أشعر بالخطر ولا أدري ماذا عليَّ أن أفعل. هل أخبرهم بما أعلم؟ أم أنتظر.

في الصباح الباكر اتجهتُ إلى عملي، وحين رأيتُ أستاذ طارق أحد أهم المحامين في مكتب عمي، وكاتم أسراره سألته باهتمام:

_هل تعرف رقم هاتف عمي في روما، أو حتى عنوان الفندق النازل فيه هناك، كل أسرته قلقة عليه، ولم يتواصل مع أحد منهم منذ سافر يوم الخميس الماضي

_ ربما كانت مشاغله كثيرة، هو لم يتصل بي كذلك. عموما سأتصل به في الفندق المعتاد النزول فيه، وأخبرك بما يستجد.

ظللتُ منزعجة وخواطر سيئة عديدة كانت تطاردني، حاولتُ التظاهر بالهدوء، وبعد ساعة مرت على مكتبي أستاذة دعاء وسألتني عن عمي مما زاد من قلقي، فأخبرتها بسفره، ولم أزد على ذلك، فتمنت له العودة بالسلامة، وطلبت مني تجهيز ملف قضية أحد العملاء ويُدعي ريمون فايز لكي تُعِد المذكرة التي ستقدم غداً إلى المحكمة، فأخبرتها أنني سأبحث عنه، وفور عثوري عليه سأرسله إلى مكتبها.

فتَطلب مني الأمر أن أفتح غرفة عمي وأن أبحث عن القضية بين عشرات القضايا التي يحتفظ بها فيه.

اضطررتُ إلى فرز العديد من ملفات القضايا التي كانت بأحد أدراج (الشانون) في المكتب، ولكني أثناء بحثي وقعت في يدي عدة قضايا قديمة يبدو أنها منذ عدة سنوات، وقد كتب عليها تم الحُكم، ففهمتُ أنها ليست القضايا الجديدة التي ينظرها المكتب مؤخرا، وكان من بينها ملف أحمر كُتب عليه (هام. أدهم السباعي)، فلفت نظري اسمه لربما كان هو من تحدث عنه بالهاتف من قبل، فتحتُ الملف وبدأت أقلب في الأوراق بحرص، وقلبي نبضاته متسارعة، كان طبيبا متهماً في قضية قتل وتم الحكم فيها بالبراءة لعدم كفاية الأدلة.

رأيتُ صورته كان أسمراً له شارب كث ولحية، وقلبتُ في الأوراق أكثر فعلمتُ أن الجريمة تمت في غرفة بالنادي الرياضي الذي كان يتردد عليه ويعمل به، وتم رؤيته يومها في أحد الحجرات بالقرب من مسرح الجريمة الذي كان عبارة عن غرفة مبطنة كاتمة للصوت، والضحية كانت فتاة في العشرين من عمرها، تم اقتيادها بالحيلة والخديعة وتم تكميم فمها وتوثيق يديها خلف ظهرها ثم ضربها بآلة حادة على رأسها، لم يتم الكشف عن القاتل في ملف القضية ولكني عرفتُ اسم النادي، وعرفتُ عنوان أدهم السباعي المتهم الذي لم تثبت عليه القضية.

قلَّبتُ أكثر في القضايا فوجدتُ ملف قضية آخر أخضر اللون باسم نبيل مهدي، فصحتُ دون إرادة مني يا إلهي.

تناولتُ الملف لفحصه بهدوء فيما بعد، ثم أغلقتُ الدُرج، وبحثتُ في موضع آخر عن ملف قضية ريمون التي سألتني عنها المحامية، فعثرتُ عليه وأرسلتهُ لها مع أحد العاملين بالمكتب.

داخل غرفة مكتبي تناولتُ ملف نبيل وفتحته، فرأيتُ صورته بالداخل، وتأكدتُ إنه هو نفس الرجل الذي قابلته في دبي، وعندما استرسلتُ في القراءة علمتُ إنه كان متهما في قضية خطف طفل ولم تثبت عليه، وكان البلاغ المقدم فيه يتضمن معلومات عن اختفاء الطفل في نفس النادي الذي قُتِلَت فيه الفتاة في قضية أدهم مما يعني أنه يوجد رابط بين القضيتين لوجود صلة بين نبيل وأدهم، تمعنتُ في تفاصيل الدفاع الذي ترافع فيه

عمي نفسه، وبني دفاعه على خطأ في إجراءات الضبط، وعدم كفاية الأدلة، فقلتُ لنفسي:

إن الحكم ببراءة هذين الشخصين لا تعني أنهما لم يقترفا هذه الجرائم، وقررتُ البحث أكثر عنهم.

دونّتُ عنوان النادي وتاريخ الجرائم، وعناوين المتهمين، وقررتُ البحث والتقصي.

دلف طارق مكتبي، وأخبرني أنه تواصل مع الفندق في روما وأن عمي بالمستشفى حاليا لتعرُضه لحادث إطلاق نار عليه على سبيل الخطأ وتم إسعافه، وأمامه ثلاثة أيام ليعود إلى مصر. شكرته وأخبرته أنني سأطلع أسرته على ما حدث.

انصرفتُ من مكتب عمي والأرض تميد بي، كل شكوكي أصبحت حقيقة، قررتُ طباعة كارنيه صحافة زائف لأستخدمه فيما هو قادم.

اتجهتُ إلى النادي الذي حدثت به الجرائم، ودخلتُ إلى الإدارة مدعية أنني أعمل بالصحافة وأغطي موضوعا صحفيا عن جرائم خطف وقتل الأطفال، وأنني علمتُ بالجرائم التي حدثت بالنادي من قبل وأريد عمل تحقيق صحفي مع مدير النادي.

لم يمانع الرجل ولكنه طلب ما يثبت عملي بالصحافة، فأبرزتُ له الكارنيه فمر عليه سريعا وقال لي تفضلي وطلب لنا فنجانين من القهوة ثم بدأت بسؤاله:

_ كم جريمة خطف أو قتل تمت في النادي؟

_قبل أن يتم انتخابي لرئاسة مجلس إدارة النادي، كانت هناك عدة جرائم وقعت بالنادي، منها خطف أربعة أطفال بنتان وولدان، وقتل فتاة في العشرين من عمرها.

_ هل تم العثور على الجاني؟

_ للأسف لم تسفر التحقيقات عن معرفة الجاني وإن كان الاتهام كان يحوم حول اثنان من أعضاء مجلس إدارة النادي، أحدهما طبيب يعمل مع الأولاد في مدرستهم، ويعرفهم جيدا، ولكن لم تثبت عليهم الجرائم، ولم يكشف اللثام حول القضايا.

_ هل هناك رابط بين هؤلاء الأولاد والبنات المفقودين؟

_ كلهم أبناء أعضاء بالنادي وزملاء في نفس المدرسة وهي مدرسة سان دوفال الخاصة للغات، وتمت الجرائم متتابعة، وكان لهم مجموعة على الفيس بوك باسم مدرستهم كانوا ينشرون صورهم عليه، ويتباحثون فيما بينهم في أمورهم من خلاله.

_ هل يمكنني مقابلة الأعضاء المتهمين بالجرائم؟

_ للأسف لا يمكن ذلك، فقد تم فصلهم من عضوية النادي منذ مدة، ولم نرهم من بعدها.

_ هل حدثت جرائم بعد رحيلهم؟

_ لا لم يحدث ولكن ألفت نظرك إلى أنه تم تبرأتِهم.

_ قرأتُ ذلك في الصحف. أشكرك جزيل الشكر
_ أرجو عدم ذكر اسمي في التحقيق الصحفي لاعتبارات شخصية
_ تمام كما تحب
انصرفتُ وأنا أكاد أجزم أن هذان الرجلان نبيل وأدهم هما المتورطان في جرائم الخطف والقتل.
وصلتُ إلى منزل عمي وأخبرتُ زوجته بما علمتُ من أمره، وقد انزعجت جدا وأخذت تبكي، ثم قالت لا بد لمرام من زيارته وطمأنتي عليه.
فقلت لها: عين الصواب، وأرجو التواصل معي لو علمتم أي جديد.
رجعتُ إلى العجمي حيث أبي وأمي ومكثتُ معهم باقي الليلة وأخبرتهم عما حدث لعمي إبراهيم. فحزنا جدا واتصلا بمنزل عمي وحدث أبي زوجته وسألها متى ستسافر مرام روما لكي نطمئن على عمي إبراهيم فقالت له:
_ في الصباح الباكر.
أغلقتُ عليَّ باب حجرتي وظللتُ أرتب كيف سأصل لهؤلاء الرجال، وأجمع عنهما المعلومات.
في الصباح ذهبتُ إلى عملي بالمكتب وأتممته على أكمل وجه، وفي نهاية اليوم سألتُ أستاذ طارق على سبيل المزاح:
_ يبدو أن عمي رجل هام، يسافر روما ويتعرض لطلق ناري ألا يمكن أن يكون تابعا للمافيا؟
امتقع وجه الرجل وتحشرج صوته ولكنه حاول إخفاء ذلك، ثم قال لي:

_لا تقولي هذا فعمكِ رجلا خلوق، من أين خرجتِ بهذا الاستنتاج الغريب؟

استدركتُ إنه قد أخذ الكلام على محمل الجد، فقلتُ له:

_أنا أمزح فقط، هل ستخبرني عن عمي!

انصرفتُ وأنا ألوم نفسي لهذه السقطة، وأتمنى لو لم أنطق بهذه الكلمات.

اتجهتُ إلى عنوان الرجل الأول نبيل مهدي في حي الشاطبي، ووصلتُ إلى البناية السكنية التي يسكنها وسألتُ عنه البواب فأخبرني أنه ترك العمارة منذ عدة سنوات وانتقل إلى التجمع الخامس بالقاهرة. فباءت محاولتي بالفشل.

فسألتُ عن أدهم في عنوانه أيضاً فاتضح لي إنه سافر منذ عدة سنوات، ولا أحد يعرف إلى أي دولة.

في طريقي إلى المنزل سمعتُ انفجارا هائلاً فارتعبتُ، وخارت قواي، وتقدمتُ من منزلي شيئا فشيئا، فاتضح لي أن الانفجار في منزلنا صرختُ بقوة وجريتُ نحو المنزل فظهر لي البواب، وقال لي لا تصعدي فالشرطة في كل مكان لقد حدث انفجار في شقتكم.

_ أين أبي وأمي صرختُ وبكيت بصوتٍ مرتعب، فقال لي: لا تخافي، لقد خرجا منذ الصباح الباكر، ولكن الشقة هي ما احترق عوض الله عليكم.

جففتُ دموعي واتصلتُ بأبي، فأجابني بأنه في منزل عمي، ثم سألني عن سبب بكائي، فأخبرته بما وقع، فقال لي: أنه سيأتي لي سريعا لكي يطَّلِع على ما جرى.

انزويتُ على أحد المقاعد في مدخل المنزل، وانتظرتُ حتى استدعتني الشرطة، لتسألني، فأخبرتهم أن أبي في الطريق وأننا كنا جميعا بالخارج.

تم انتداب المعمل الجنائي لأخذ عينات من الشقة، وتم استدعاءنا لاستكمال المحضر.

عاد والداي إلى الشقة وانزعجا جدا مما حدث، وقال لي أبي أن وجودنا يشكل خطراً على حياتنا ويجب علينا العودة إلى القاهرة.

فأخبرتُه أن الخطر هناك ربما كان أكثر من هنا، ووصولهم إلى شقتنا يعني أننا نخضع لمراقبتهم، وقد علموا بتواجدنا فيها فحاولوا التخلص منا.

_ هل تعرفين عنهم شيئا خطير يدينهم؟

_ لمَ هذا السؤال؟

_ معنى أنهم يتتبعوكِ فهذا يعني أنهم لن يتركونكِ، وأنكِ تعلمين عنهم ما لا يريدون.

_ لا أدري يا أبي، لقد وجدتُ نفسي في خضم بحرٍ هائج لا قدرة لي على الخروج منه.

إذا أردتم الرجوع إلى القاهرة لا مانع عندي أما أنا فصعب عليَّ الرجوع الآن.

_ لا يمكن أن نتركك وحدك يا ابنتي، سنظل معا حتى نحميكِ

قرر أبي ترميم الشقة ثم عرضها للبيع، وقام بتأجير شقة مفروشة في الإبراهيمية حتى نتبين ما ستؤول إليه الأمور

بعد عدة أيام سأل والدي عن تحريات الشرطة وعن سبب الانفجار، واتضح وجود آثار لعبوة ناسفة بالشقة تم دسها من قِبل مجهولين وتم حفظ المحضر ضد مجهول.

أخبرتنا مرام عن طريق الهاتف أن والدها بخير وسيعود غدا من روما، وعند عودته ذهبنا للقائه في منزله.

فرحب عمي وزوجته بنا كعادتهم، وسأله والدي عن صحته الآن، وإن كان يشعر بألم، فأخبرنا إنه بخير، ويتحسن مع الوقت.

فاستطرد والدي: ماذا كان سبب الحادث؟ وكيف تتعامل مع مجرمين يحملون السلاح؟

فأجابه عمي إنه محامي، ومعظم تعاملاته مع الخطرين، ويتمنى لو ترك هذا العمل بالكامل وابتعد عن المجازفة بحياته.

وبقينا مع عمي حتى اليوم التالي، ثم أعطيناه عنواننا الجديد، وانصرفتُ أنا إلى عملي بمكتبه، بينما عاد والداي إلى شقتهما.

في المكتب سمعتُ طرقات على باب غرفتي فأذنت للطارق بالدخول، وكان الطارق هو الساعي يعطيني ملف ريمون فايز لأعيده إلى موضعه.

ففتحتُ غرفة عمي وأرجعتُ الملف إلى مكانه، كما أعدت ملف نبيل مهدي بعد أن سجلت عندي اسم الطفل المختفي وعنوان أسرته وأخذتُ صورة من بطاقة هوية نبيل.

كما تناولتُ دوسيه أدهم السباعي لأعرف اسم الفتاة المقتولة، وعنوانها ثم دونته عندي وكذلك حصلتُ على صورة هويته، وتركتُ الملفات في موضعها ثم أغلقتُ الحجرة وانصرفتُ.

عزمتُ على البحث عن أسرة الفتاة المتوفية من أجل معرفة تفاصيل أكثر، ثم استقللت سيارة إلى عنوانها، وكانت تقطن في منزل بالمعمورة، وحين وصلتُ هناك سألتُ حارس العقار عن والد الفتاة، فقال إنه بالطابق العاشر، فدلفتُ المصعد حتى الطابق العاشر ودققتُ جرس الباب، ففتحت لي امرأة مسنة تبدو لي في العقد السادس، سألتُها عن الأستاذ محمد رؤوف فقالت لي إنه موجود بالداخل ودعتني إلى الدخول فترددتُ قليلا ثم قلتُ لها أرجو أن يأتي سريعا ولن آخذ من وقته سوى دقائق، فانصرفت، وظهر رجلا في العقد السابع من عمره منحنى الظهر أشيب الرأس، وقال بصوتٍ خفيض: تفضلي

فأجبته: شكرا جزيلا أنا صحفية وأريد بعض المعلومات عن ابنتك المرحومة لبنى

فاغرورقت عيناه بالدموع ثم قال: لا يمكن الحديث على الدرَج، تفضلي بالدخول وسأخبرك بما تريدين.

دخلتُ إلى الشقة بتحفُظ، واستقبلتني زوجته بحفاوة وطلبت مني الجلوس، ثم طلب منها زوجها كوب شاي من أجلي.

سألته عن لبنى ذات العشرين عاما ما الذي حدث لها وكيف انتهت قضيتها؟

فقال لي: رحمها الله، في ذلك اليوم ذهبَت إلى النادي عصرا كعادتهاُ ولكنها لم تعد في المساء بعد تدريب السباحة، اتصلتُ بها عدة مرات بلا فائدة هاتفها كان مغلقاً، فذهبتُ إلى النادي وسألتُ عنها، فلم يفدني أحد سوى أحد عمال الكافيتريا، الذي رآها آخر مرة تتجه نحو حجرة الملابس بعد التمرين، ولما دخل العامل حجرة الملابس بالصدفة بعد ساعتين عثر عليها مخنوقة وملقاة على الأرض بلا حراك. فصرخ وتجمع كل من بالنادي وقتها وحضرت الشرطة كما تعلمين.

_ولكن من تم اتهامه في الجريمة؟

_ الكثيرين ومنهم أحد أعضاء مجلس الإدارة الذي رآه أحد المتدربين معها في ذلك اليوم وكان يسير معها حتى دلفت حجرة ملابس الفتيات.

_وهل ثبتت التهمة عليه؟

_ أبدا لقد أخرجه محامي ظالم من القضية أدعو الله أن ينتقم منه، بسبب عدم كفاية أدلة الإثبات.

نسيتُ أن أخبرك إنه بعد تقرير الطب الشرعي اتضح أنها كانت منزوعة الكليتين.

_يا إلهي تجارة أعضاء بشرية، أنا آسفة جدا كما توقعت.

استأذنتُ وانصرفت

وطيلة الطريق وأنا أفكر كيف استطاع القاتل أن يسرق كليتيها فور القتل أكيد كان معدا للعدة من قبلها، أي إنه قتلا مع سبق الإصرار والترصد. ربما كان معه الطبيب معدا لأدوات حفظ الأعضاء وفور قتلها قام بالعملية الجراحية دون أن يلاحظه أحد. هكذا تصورتُ الأحداث.

في اليوم التالي لم أذهب إلى عملي، وإنما اتجهت لمنزل الطفل المخطوف لمقابلة والدته، لأعرف ما حدث معه.

استقبلتني والدته بترحيب تأمل أن يعيد التحقيق الصحفي فتح القضية لينال الجاني المجرم جزاءه.

وعندما سألتها عما تعرف عن الجريمة أجابتني إن ابنها كان في السابعة من عمره وكان يلعب معها بالنادي، واختفى عن عينيها دقائق فقط، فانتبهت ولم تجده.

صرخت كالمجنونة في كافة أنحاء النادي، ولم تعثر عليه ولكن أحد الأعضاء قال إنه رآه مع طبيب النادي أدهم السباعي، فاندهشت وأُسقِط في يدي حين سمعتُ الاسم، وبدأتُ أربط خيوط الجريمتين، أكيد هو من ساعد نبيل على استئصال كليتي لُبنى بعد قتلها بدقائق، وحفظها بصندوق ثلج سريعاً حتى لا تفسد، مَن غيرهُ يمكنه أن يفهم ما يجب فعله.

ثم أخرجت المرأة صورة من محفظة النقود خاصتها، وقالت أنظري إلى صورته أرجو نشرها مع التحقيق الصحفي.

التقطتُ منها الصورة ونظرتُ إليه بفزع فقد جف حلقي، يا الله إنها هي!

قالت والدة الولد: عفوا من تقصدين؟

_ لا لا شيء إنه ذكرني بأحد أقاربي، هل اعتدتِ على ترك شعره طويلا هكذا مثل البنات؟

_نعم كنتُ أحب شعره الأسود الحريري ولا أقصه أبدا.

فقلت لها البقاء لله، ثم استأذنتُ وانصرفتُ وملايين الأسئلة تدور في عقلي.

الصورة كانت تشبه الجثة التي رأيتها على التخت في حجرتي بالفندق. في دبي!

إنها تبحث عن ابنها بينما هو مات، وتم تسفيره إلى الخارج دون أن يشعر أحد.

كيف ظننت إنها بنت حين رأيتها في حجرتي؟ ربما بسبب شعره الطويل.
عدتُ إلى البيت وجلستُ مع أبي وقصصتُ عليه كل ما حدث وما وصلتُ إليه من معلومات، فاندهش من جرأتي على جمع المعلومات، وطلب مني عدم زيارة أحد وحدي دون سابق معرفة خاصة في جرائم القتلُ فربما تعرضت للمسؤولية القانونية أو تم اتهامي بما أنا بريئة منه.
فوعدته بذلك ثم أخبرته بضرورة سفري إلى القاهرة لاطلاع وكيل النيابة على ما توصلتُ إليه من معلومات كما وعدته من قبل، فوافق بشرط أن يأتي هو وأمي معي إلى القاهرة وألا يتركاني وحدي مرة أخرى، فاتفقنا على السفر في الصباح الباكر.

رحلة غامضة

اليوم هو الإثنين الموافق الخامس عشر من يونيو عام ألفان واثنان وعشرون ميلادية

وصلنا إلى منزلنا بالقاهرة متعبين، ولكن أبي لم يبق للراحة وإنما ذهب إلى عمله فورا، وأنا رافقته في طريقه لألتقي بالأستاذ شريف لكي أطلب منه تحديد موعد عاجل مع عبد الفتاح بيك لأطلعه على ما توصلتُ إليه من معلومات.

عند وصولي إلى المدرسة رحب بي أستاذ شريف وسألني عن الأخبار فقلتُ له سأحكي كل شيء أمام رئيس النيابة وعلى الفور تواصل مع صديقه ليحدد موعد لاستقبالنا فأخبره أن يصحبني ويأتي إليه الآن خلال نصف ساعة.

حين وصولنا إلى مكتبه رحب بنا وطلب لنا القهوة، ثم قال لي وعلى وجهه علامات الاهتمام البالغ:

_ يبدو أن لديكِ معلومات هامة

_نعم لقد تحريت بنفسي عن كل ما سأخبرك به الآن، وقد وقعت في يدي بالمصادفة البحتة أوراق قضيتان الأولي باسم نبيل مهدي والأخرى باسم أدهم السباعي.

فعرفتُ أنهما تم اتهامهما سابقا في قضايا اختفاء وقتل وقد ترافع عمي عنهما وحصلا على البراءة، ويبدو أنها كانت بداية صلته بهما.

_ اذاً هناك صلة قديمة بينهما؟

_ نعم. كانا أعضاء مجلس إدارة في أحد النوادي بالإسكندرية وهو مكان اختفاء الطفل ومقتل الفتاة.

كما إن المدعو أدهم السباعي اتضح لي أنه طبيب النادي، والفتاة المقتولة بعد فحصها عن طريق الطب الشرعي تبين فقدانها لكليتيها، مما يعني أن الطبيب ربما تدخل لإجراء عملية الاستئصال سريعاً قبل اكتشاف اختفاء الفتاة.

_ اتركي لي كل البيانات الخاصة بالجريمتين لأعيد فحص الملفات وأعرف التفاصيل بنفسي، وماذا لديكِ أيضا؟

_ أتتذكر الفتاة التي أخبرتك أنني عثرت عليها مخنوقة على فراشي في غرفتي بالفندق؟

_ نعم ماذا عنها؟

_ تبين أنها هي نفس الولد الذي تم اختطافه من النادي في القضية المتهم بها نبيل مهدي الذي قابلته في دبي وذكر إنه يعمل مع الشرطة هناك.

_مفاجأة فعلا. ولكن كيف توصلتِ إلى تلك المعلومة؟

_ والدة الطفل عرضت عليَّ صورته، أثناء زيارتي لها، لإرفاقها بالتحقيق الصحفي الذي أخبرتها أنني أعده.

_ لا تفعليها مرة أخرى، كيف تنتحلي صفة صحفية؟ ألا تخشين من وقوعك تحت طائلة القانون؟

_ آسفة ولكن لم يكن أمامي سبيل آخر لجمع معلومات عن الجريمتين لأتبين شخصية الرجلين أدهم ونبيل.

_هل تريدين أن تطلعيني على معلومات أخرى؟

_نعم. عند زيارة بيت عمي تأكدتُ من أنهم عبثوا بأشيائي وحقيبتي تعرضت للتفتيش، كما أن مرام ابنة عمي ارتبكت حينما سألتها عن الطفلة التي اختفت من الطائرة حين عودتنا من روما، وادعت أنها عادت بالطائرة التي تلي طائرتي مع أنها من طاقم الطائرة التي عدتُ منها، ومن الصعب عودتها مع طائرة أخرى!

كما إنها لابد علمت الحقيقة بعد مكوثها في الميناء الجوي بعد عودتنا قبلها، أصبحتُ أشك في عملها مع والدها.

لابد أن تسافري دبي وهذه المرة سنكون معكِ من بعيد دون أن نظهر في الصورة

_ ولكن ماذا سأفعل في دبي؟

_ سوف تنزلي في نفس الغرفة ونفس الفندق لتتأكدي من تتبع هؤلاء الناس لكِ، عليكِ المواجهة ولا تخشي شيئا.

سنتواصل على خط الهاتف الذي سأعطيهِ لكِ، وتبلغينا بما يحدث أولا بأول على هذا الهاتف.

أعطاني هاتف وخط جديدين وتذكرة سفر تم حجزها باسمي على طيران الإمارات غدا.

ارتبكتُ حين وجدتُ الأحداث تتسارع، ولا أدري كيف سأخبر أبي وأمي بسفري، وربما مانعا بعد كل ما حدث خوفا عليَّ.

انصرفتُ من مكتبه قلقة، وقد كان شريف ينتظرني بالخارج، فلاحظ شرودي، وسألني أثناء سيرنا نحو السيارة للرجوع إلى بيتي:

_ماذا حدث؟

فأخبرته أنني مضطرة إلى السفر إلى دبي بأمر من عبد الفتاح بيك، وأنهم سوف يقومون بتأميني، كما أنه طلب مني محاولة جمع معلومات عن نبيل مهدي ومقابلته بنفس الفندق السابق.

فقال لي: لا تخشي شيئا، يمكنني اصطحابك في هذه الرحلة.

ابتلعتُ ريقي الذي جف وقلتُ له سريعا وبدون تفكير:

_ بأي صفة؟ أقصد لا يصح أن تسافر معي، ولن يوافق أبي.

فتلعثم قليلا وقال:

_ أنا أريد مساعدتك، وأريد التقدم إلى والدك لخطبتك.

فاجأني شريف بطلبه، فصمتُ لبرهة، ثم قلتُ له: لا يصح أن تفاجأني هكذا أنا سأسافر غدا، وحتى لو قابلتَ والدي فهذا ليس وقته ولن يغير شيء

_ أنتِ مهمة عندي جدا، وكنتُ أريد مفاتحتك في هذا الأمر منذ فترة، ولكني ترددتُ خوفاً من رفضك، والآن أشعر بالمسؤولية تجاهك وبرغبتي في

حمايتك، فكري بهدوء ويمكنني التقدم لوالدك عقب عودتك من دبي. ولكن تريثي قبل الرد عليَّ فأنا حقا متمسك بكِ.

_ربما كانت شفقة عليَّ بسبب موقفي الصعب، وظروفي الغريبة!

_ أبداً. أنا لستُ شابا طائشا أو رجلا أهوج لكي أحكم على علاقة أبدية مثل الزواج بناء على أمرٍ عارض، أنا مقتنع بكِ وهناك ما يجذبني إليكِ منذ رأيتك للمرة الأولى.

وعدته بالرد عليه بعد رجوعي من دبي. وكنا قد وصلنا إلى موقع منزلي فسلمتُ عليه وتركته بينما لم تتركني الأفكار كانت تتقاذفني كالأمواج العاتية، يمينا ويسارا، ولا أدري ما سأصل إليه. كل ما كان يشغلني هو كيف سأخبر أسرتي بأمر سفري، وكيف يتلقوا الأمر.

دققتُ جرس الباب ففتحت لي أمي وأخبرتني أنها وأبي ينتظراني لتناول العشاء معي. فابتسمتُ وقلتُ لهما حالا سآتي.

بعد تناول الطعام جلسنا جميعا في الردهة وبدأتُ حديثي معهما بسؤالي: هل تثقا فيَّ؟

فأجابني أبي في الحال:

_طبعا بالتأكيد

_ إذن فأنا مسافرة إلى دبي غدا صباحا، حيث طلبت السلطات مساعدتي في تتبع الجناة وكشف غموض التشكيل العصابي

قالت أمي بقلق بالغ: _ لمَاذا لم تخبرينا بذلك من قبل؟ أم تضعيننا أمام الأمر الواقع بعد حجز التذكرة؟

_ أبدا والله يا أمي. لقد تفاجأت مثلكما تماما، وصار عليَّ تنفيذ الأوامر

_ ولكني خائفة عليكِ، هؤلاء مجرمون وقد يؤذونكِ

_ لا تخافي يا أمي أولا الله معي، لأني أسعى إلى الخير وتحقيق العدالة، وثانيا قد تم التنسيق مع البوليس الدولي، والشرطة هنا سترسل مندوبين خلفي يحمونني ويتواصلون معي باستمرار.

نظر إليَّ أبي وقال بعد تفكير:

_ سأرافقك، ولو حتى من بعيد لأطمئن عليكِ لا يمكن أن أسمح لكِ بالسفر بمفردك بعد علمي بما يحيطُ بكِ من خطر.

_ أخشى ألا يوافقوا على ذلك؟

_ لا داعي لإخبارهم من الأساس. سأنزل بنفس الفندق وأتتبع تحركاتك بنفسي لكي أتدخل إن أصابكِ مكروه.

_ حسنا، كما تحب.

لم أستطع الرفض ثم قلتُ: الآن سأدخل على شبكة الإنترنت وأحجز لك تذكرة على نفس الطائرة وأتمنى أن أعثر على واحدة.

شعرتُ من داخلي بالاطمئنان العجيب حين علمتُ أن أبي سيكون معي، ولا سيما أن أمي قامت بتشجيعه على فكرته، وأنا أحاول أن أبدو هادئة رابطة الجأش أمامهما.

اتجهتُ أنا ووالدي إلى ميناء القاهرة الجوي للسفر، وافترقنا عند البوابة لعلمنا أنني لابد مراقبة، ومن ثم دخلتُ بمفردي وأنهيتُ إجراءات سفري ثم انتظرتُ في قاعة الانتظار حتى موعد الطيران، وقد اختفى أبي عن نظري، ولكنني متأكدة أنه في مكانٍ ما حولي وسيرافقني على متن نفس الطائرة.

وبعد دقائق تم النداء بمكبرات الصوت على المسافرين لرحلة دبي أن يصعدوا إلى الطائرة، وبعد نصف ساعة تقريبا، تحركت الطائرة وصرنا فوق سماء مصر متجهين إلى دولة الإمارات حيث وجهتنا النهائية.

وصلنا إلى الفندق وما إن دلفتُ من بابه حتى بدأ قلبي في الاضطراب وتسارع نبضي بشكل كبير، وتذكرتُ كل ما عانيت سابقا من قلق وخوف ورعب.

صحبني أحد عمال الفندق حيث غرفتي 99 وكانت هي نفس الغرفة التي رأيت فيها الجريمة سابقا، وما إن دخلتُ إليها حتى وجدتُ بداخلها نبيل مهدي فصرختُ بخوف:

_أنتَ ثانية؟

فقال لي بخبث:

_ على رسلك فقد كنا نراقبك حتى وصلتِ إلى هنا

_ ماذا يعني ذلك، ماذا تريد مني؟

_ لا شيء. فقط ابتعدي عن طريقنا، وانسي كل ما رأيتِ مسبقا، حتى لا تندمي

_ لا علاقة لي بكم. أنا هنا في زيارة سياحية وكل ما مضى ذهب طي النسيان

_ حسنا سنرى

انصرف من حجرتي، وتركني أرتعش من الخوف، فتذكرتُ خط الهاتف الذي تسلمته في مصر، فوضعته في هاتفي واتصلتُ به فردت عليَّ امرأة قالت لي إن اسمها رفيف وأنها ستساعدني في مهمتي، فقصصتُ عليها كل ما حدث وتهديد نبيل لي.

فأخبرتني إنهم سوف يتتبعوه ويحاولوا معرفة مكانه.

كان أبي في ذلك الوقت في حجرة قريبة من حجرتي أي في نفس الطابق، ويداوم على النظر إلى باب حجرتي للاطمئنان عليَّ، وكان قد لمح نبيل وهو خارج من غرفتي، فأسرع إليَّ قلقا وقال لي:

_ ماذا حدث ومن هذا الرجل؟

_ إنه نفس الرجل الذي أخبرتك عنه سابقا الذي يعمل مع عمي في شبكة قتل الأطفال والإتجار بهم، وقد وجدته في غرفتي حين فتحتُ الباب، وقد أفزعني وهددني إن لم أنس كل ما حدث فسوف أتعرض إلى الخطر.

_يا إلهي هو ما كنتُ أخشاه! كيف آمن عليكِ بعد الآن؟

_لا تخشَ عليَّ فهم يحمونني فعلا ويتتبعانه لمعرفة مكانه، وأخبرته عن رفيف التي تتابع معي كل ما يستجد من أحداث أولا بأول.

انصرف أبي من غرفتي، وتركني لأستريح بعض الوقت

ولكنه لم يهدأ له بال حتى نزل إلى مقهى الفندق للبحث عن الرجل الذي رآه عندي متذكرا ملامحه جيدا، وقرر تتبعه بنفسه لإنهاء هذه القضية سريعا. كما أخبرني فيما بعد.

تقمص أبي دور المخبر السري، وصار يبحث خلف الرجل، فقام بتأجير سيارة عن طريق الفندق، ثم استقلها خلف نبيل ليعرف إلى أين سيذهب، وبدأ بتسجيل خط سيره في احدى المفكرات الصغيرة التي لا تفارق جيبه.

وجده يتجه إلى أحد الملاهي الليلية، ويقابل بعض الرجال، ثم يجلسون للحديث في غرفة مغلقة، ثم انصرف بعد ساعة وعاد إلى الفندق

علمتُ من رفيف عن طريق الهاتف أنه يمكنني الخروج بحجة التسوق وشراء الهدايا، ليتم التأكد من تتبع نبيل لي.

فعلا خرجتُ في ذلك اليوم، ولكن دون إخبار أبي لخوفي عليه من التهور وإظهار نفسه، ودخلتُ أحد الأسواق التجارية الكبرى، فأخذتُ أتفحص بعض المنتجات، وبالمصادفة لمحتُ نبيل في أحد الطوابق، يفصله عني المصعد، فتصرفتُ كأنني لا أراه، وبعد دقائق لفت نظري أنه التقى بأحد الأشخاص، وسلم عليه ثم سارا سويا، توقفا أمام قسم الحلوى وكان هناك

عدة أُسر تشتري الحلوى بصحبة أبنائهم، وعندها لاحظتُ أن نبيل تسلل بجوار طفل صغير لا يزيد عمره على ثلاثة أعوام وتحدث معه، ثم منحه قطعة شيكولا، فالتهمها الصغير دون أن تلاحظ والدته ذلك، وفي خلال دقيقة اختفى نبيل ورفيقه، والطفل من أمام عيني.

جريتُ مسرعة نحو قسم الحلوى لأرى ما يحدث عن قرب، فرأيت أم الطفل تبكي وتسأل عن ابنها الموجودين بالمكان، ثم هرولت إلى الإدارة لتسأل عنه وبسرعة تم إعلان فقدان الطفل في مكبرات الصوت، وتم غلق أبواب (السوق التجاري) للبحث.

انتشر رجال الأمن في كل مكان بحثا عن الطفل، وأنا مذهولة من الأحداث المتعاقبة، وأريد أن أساعد المرأة، ولكن لا أدري أمسموح لي فعل ذلك أم لا.

كلمتُ رفيف في الهاتف وقصصتُ عليها باختصار ما حدث أمام عيني، وسألتها هل يمكنني الإدلاء بأوصاف نبيل لمساعدة الشرطة؟ فأذنت لي بذلك ليتم القبض عليه وترحيله إلى مصر وبذلك أكون قد نجحتُ في مهمتي. وفي الحال اتجهتُ إلى الأمن وأخبرتهم عما رأيت بالتفصيل.

صحبوني إلى غرفة الكاميرات لمراجعتها وظهر فيها نبيل من الخلف دون أن يظهر وجهه وهو يحمل الطفل متجها به إلى الخارج قبل إبلاغ السيدة عن اختفاء طفلها.

فوصفتُ لهم شكله، وأخبرتهم باسمه وبأنني لستُ على استعداد للخصومة معه، فربما قتلني لو علم أنني أبلغتُ عنه.

فقال لي الضابط أنه لن يعلم أحد بشخصية الشاهدة التي أدلت بأوصافه، بل وإمعانا في تضليله سيتم ترويج معلومة أن أحد الرجال رآه وأبلغ عنه الشرطة ووصفه بدقة.

اطمأن قلبي لأنني فعلتُ الصواب، فعرض عليَّ الضابط بعض صور المشتبه بهم، ولكن لم يكن نبيل من بينهم فنفيتُ وجوده، ولكن الشرطة طلبت مني الانتظار حتى يأتي رسام يعمل معهم ليتمكن من رسم صورة له حسب الأوصاف التي أدليتُ بها ثم أراها لأخبره هل الصورة تشبهه أم لا.

ففعلت، وانتظرتُ لمدة ساعة ثانية، ولكن استأذنتُ للحديث في الهاتف، فكلمتُ أبي وأخبرته ألا يقلق وأنني سأعود بعد قليل من السوق.

قام الرسام برسم صورة تشبه نبيل إلى حد كبير، وأخبرتهم أنها تصلح للبحث عنه في كل مكان.

ثم انصرفتُ إلى الفندق، ودخلتُ حجرتي للراحة بعض الوقت. وفى المساء كلمني أبي وأخبرني أن أقابله في أحد المقاهي ويسمى سلطانة بعد ساعة.

فامتثلتُ لأمره والتقينا هناك بعد أن أوصلني (التاكسي) إلى عنده.

فسألته عن السيارة التي يقودها فأخبرني إنه قد استأجرها، وأنه تتبع نبيل اليوم، ورآه خارجا من أحد الأسواق التجارية الشهيرة حاملا طفلا نائم ربما كان ابنه، وبصحبته أحد الرجال.

فغرتُ فاهي من المفاجأة وقلتُ له:

_ أكنتَ هناك؟ يا إلهي

_ ماذا بكِ؟

_ أنا كنتُ بالسوق وقتها وقد اختطف نبيل الطفل، ولم يتمكن أحد من الوصول إليه حيث خرج مسرعا قبل إبلاغ السيدة عن اختفاء ابنها.

فقال لي: لو أخبرتيني بخطواتك كنا تعاونا في القبض على هذا المجرم

حسنا الآن علينا الاتصال بالشرطة لأخذ أقوالك ولتقص عليهم كل ما رأيت

فقال حسنا هيا بنا

أسرعنا إلى الشرطة وأدلى أبي بأقواله، فأخبرونا أنهم وزعوا صورته في كل أنحاء المدينة ولابد أن يعثروا عليه قريبا.

انصرفتُ مع أبي إلى الفندق، وفى المساء تناولنا العشاء، وانصرف كل من إلى حجرته، وفي الممر بين الحجرات رأيت خيال رجل يحمل طفلا بين ذراعيه، اعتقدتُ أنه نبيل. فأخبرت أبي بذلك.

تتبعه أبي في نفس المسار الذي سار فيه، فوجده فعلا هو نبيل استقل سيارة، فاستقل أبي سيارة خلفه ولاحقه ولكن على مسافة طويلة منه، اتجه إلى المطار ومعه الطفل، ثم دخل صالة المسافرين، ويبدو أنه كان معدا لكل شيء، فاستقل الطائرة إلى القاهرة. ولم يلحق به أبي.

عاد إلَيَّ أبي في الفندق، وأخبرني بما حدث، فاتصلتُ برفيف لأخبرها بتطورات الموقف، وبسفر نبيل إلى مصر وبحوزته الطفل.

فأخبرتني أنهم حجزوا لي تذكرة العودة إلى القاهرة في الصباح، وسيعطيني إياها أحد الرجال بعد قليل.

قمت بحجز تذكرة لأبي لكي يعود معي غدا، وكان متأثرا جدا بعدم قدرته على اللحاق بالمجرم، فطمأنته أن الشرطة خلفه وتتبعه وسوف تقبض عليه سريعا، المهم إنه في القاهرة حاليا أما أنا فكل ما كان يشغل بالي هل الطفل هل تم قتله أم إنه كان منوما فقط ويمكن إنقاذه؟

عدنا إلى القاهرة، وتواصلنا مع عبد الفتاح بك وأخبرته بكل ما حدث فشكرني على جهدي وعلى أن نبيل قد عاد إلى القاهرة وهم يتتبعوا خط سيره حاليا.

أسرار المقبرة

سافرت مع أبي وأمي إلى الإسكندرية مرة أخرى، وبقي والداي في شقتنا بالإبراهيمية، بينما ذهبتُ إلى عملي، ولم أخبر أحد بأمر سفري إلى دبي.
طلبني عمي في مكتبه، فذهبتُ إليه متهللة الوجه، حمدت الله على عودته إلى عمله سالما
فقال: سلمكِ الله يا ابنتي. ولكن أخبريني لمَ سافرتِ إلى دبي مرة أخرى
ارتبكت وتحشرج صوتي، وجال في خاطري فكرة معرفة أبي بسفري مما يدل على أنه تواصل مع نبيل. ثم قلتُ له:
_ تعرف أنني عدتُ من هناك على عجل، فأردت شراء بعض الأمتعة والملابس، حيث أن عناك عريس قد تقدم لي وأنا في القاهرة
لم أجد سوى هذه الفكرة في ذهني فأسعفتني لتبرير سفري، وقد صدقها عمي وبارك لي.
ولكن الأفكار كانت تتصارع بداخل رأسي، وأنا أحاول مراقبة عمي، ففتحت عليه المكالمات كما فعلتُ من قبل عدة مرات حتى علمتُ أنه سيقابل نبيل غدا الساعة السابعة مساءاً في محطة مصر ليستقلا القطار للسفر إلى محافظة المنيا

عدتُ إلى الأوراق التي كانت بحوزتي عن نبيل، وعلمتُ من بطاقة هويته إنه من محافظة المنيا.

في الحال اتصلتُ بشريف وأخبرته بما جرى، وبالمعلومة التي علمتها، من سفر عمي مع نبيل إلى المنيا غدا، فأخبرني إنه سيخبر الجهات الأمنية بالمعلومة ، ليتمكنوا من القبض عليهم.

قلت لشريف أنني لابد أن أكمل ما بدأت، وبرغبتي في السفر إلى المنيا لتتبع عمي والمساعدة في القبض عليه.

فرفض رفضا قاطعاً، وأخبرني أن الأمر خطر وهو في يد الشرطة حاليا إذن انتهى دوري الآن.

فرضختُ لرأيه، وانتظرتُ حتى أعلم منه الأخبار فيما بعد.

في اليوم التالي، ذهبتُ إلى عملي وقد بلغ الشغف مداه وكنتُ أريد معرفة ما سيحدث، ولكنني لم أجد عمي فقد كان غائبا، وأخبرني طارق إنه تواصل معه عبر الهاتف وأخبره أنه مسافر وسيعود غدا. هنا علمتُ أنه لم يتم القبض عليه بعد.

مرت ساعتان، وفجأة وجدنا الشرطة تدخل إلى مقر عملنا في مكتب عمي، ويقومون بفحص الأوراق والملفات وبالتفتيش في المكتب، ثم استدعاءنا جميعا للمثول أمام النيابة للتحقيق غدا حيث تم القبض على عمي في محافظة المنيا.

انتشر الخبر كانتشار النار في الهشيم على مواقع التواصل الاجتماعي، ووجدتُ أمامي فيديو مصورا للحظة القبض على عمي ونبيل مهدي والطبيب أدهم السباعي داخل منزل قديم، كان يتم التنقيب أسفله عن آثار وكان بحوزتهم طفل صغير وأحد العرافين أشار عليهم بتقديم الطفل كقربان لفتح المقبرة الفرعونية.

كان المنظر مؤسف، وشعرتُ بالضيق، ولكني لم أتفاجأ مثل زوجة عمي ومرام وأبي وأمي.

تم التحقيق مع كل الموظفين والمحامين العاملين في مكتب عمي، ولم يتضح لهم أي صلة بنشاطاته الإجرامية

وبالتحقيق معي شكروني على تعاوني في القبض على التشكيل العصابي الدولي الذي تخصص في سرقة الأطفال وبيعهم لمن يدفع، واستخدامهم في تجارة نقل الأعضاء واستخراج مادة الأدرينوكروم، التي يقال إنها تجدد الشباب، وفي فتح المقابر الفرعونية.

طلبتُ منهم عدم ذكر اسمي كمصدر للمعلومات وعدم تسريب أي معلومة تخصني للإعلام لموقفي الحرج وقرابة عمي لي. فوافقوا بالفعل. وتم الحكم عليهم بالسجن المؤبد.

نهاية القلق

بعد انتهاء التحقيقات، جاء شريف إلى الإسكندرية، وتقدم إلى أبي لخطبتي، فسألني عن رأيي بعد إجراء التحريات عنه للتأكد من أخلاقه، وعائلته، فصمتُ ففهم أنني لا أمانع أن أرتبط به، فقد كنتُ أتوق إلى حياة جديدة، أنسى بها كل ما مر بحياتي من متاعب وأتصالح مع فكرة العائلة التي هي نبع السكينة والطمأنينة والمحبة، وكانت بداية جديدة تخلصتُ خلالها من القلق إلى الأبد.

تمت

2- رقصات الذبيح

آدم نجاتي صحفي لم يتخطى الخامسة والثلاثين من عمره، وبرغم ذلك أصبح رئيسا لقسم التحقيقات في جريدة حديث المدينة، يعيش في حي العباسية بمدينة القاهرة، قرر أن يخوض التجربة ويسافر إلى غرب إفريقيا أو ما يعرف بمجاهل إفريقيا ليحل اللغز الذي تعذر حله على الجميع، ولكن لابد أن يصاحبه فريق صحفي أو على الأقل صحفي ومصور آخرين لمعاونته.

دق جرس الهاتف فأجابه على الجانب الآخر حازم قدري المحرر الجديد ذو السادسة والعشرين ربيعا المتحفز المتنمر دائما، وهو على استعداد أن يثبت مهارته بأي ثمن لذلك، فدعاه للحضور إلى مكتبه على عجل لكي يخبره بأمرٍ هام. بعد دقائق حضر حازم وسأله باهتمام: ما الأمر؟

_ رحلة صحفية مليئة بالأسرار نعود بها بسبق صحفي ينقلنا نقلة بعيدة المنال

_ أخبرني بسرعة أنا معك طبعا، وأعشق الصعاب

_ غرب إفريقيا أسمعت بما حدث للوفد الأوروبي الأسبوع الماضي حيث اختفوا جميعا ما عدا فتاة تبلغ من العمر السابعة عشرة فاقدة للنطق، ولم تستطع إخبارهم بما وقع للوفد؟

_ أجل لقد قرأت ذلك ولكن كيف لنا أن نعرف السر؟

_ هذه مهمتنا أليست الصحافة هي مهنة البحث عن المتاعب

_ معك طبعا. متى السفر

_ فور الاتفاق مع المصورين وأحد الصحفيين أيضا

اتفقنا.

انصرف حازم وهو مشغول الفكر بما هو مقبل عليه، بينما ظل آدم يفكر فيمن سيرافقهم، فطل في وجهه وقتها اسم ماريا جلال خطيبته، ثم استبعدها وقال في نفسه: لا لا يمكن أن أعرضها إلى الخطر.

استدعى محمد كاظم وياسر عصام وهما من أكفأ مصوري الجريدة، وقص عليهما المطلوب منهما بدقة، ولكن ياسر اعتذر لإصابته بانزلاق غضروفي في فقرات عنقه بسبب أحد مغامراته الصحفية مؤخرا، وتحذير طبيب الأعصاب له من الإصابة بالشلل الرباعي لو تهاون بالخطر.

فقال محمد: أنا معك أستاذ آدم.

هكذا أصبحنا ثلاثة أظن أن هذا يكفي.

انصرف آدم من الجريدة وفي طريقه مر على ماريا في المدرسة الثانوية التي تعمل بها معلمة للتربية الفنية، وصحبها في سيارته، وأثناء ذلك حدثها عن عزمه السفر إلى غرب أفريقيا، وأخبرها إنه لن يتأخر. فصمتت لبرهة ثم قالت له:

_ أنسيت أن لي قناة شهيرة على يوتيوب، وهذه الرحلة فرصة عظيمة لي ولن أستطع تركها.

_ انسي هذه الفكرة تماما ففيها من الخطورة ما يدفعني إلى منعك من السفر.

_ خطورة وأنا معك كيف؟

_ أنا لا أمزح، ولا تشعريني بالندم على إخبارك بها

_ أرجوك يا آدم هذه فرصة سانحة لي ولن تتكرر، وسترفع من أعداد المتابعين لقناتي وفي ذلك خير وفير لي ولك مستقبلا.

_ يا حبيبتي أن أخاف عليكِ، والمال ليس كل شيء في الحياة، الأمان أهم طبعا، لا تحاولي

_ آدم أنا لا أقصد المال فقط ولكن مجرد طعم النجاح والشُهرة، ستنسيك كل المخاوف، تخيل معي رحلتنا معا وسط عالم غريب وشيق، والغابات حولنا في كل مكان، أنت تعرف ولعي بالمغامرات، لا تحرمني من ذلك أرجوك.

صمت آدم وبدأ يفكر كيف يقتلع تلك الفكرة من رأس ماريا كما زرعها بداخلها.

عندما وصلا إلى منزلها صعد معها إلى شقة والدتها ديما، وأخبرها أن تنصح ابنتها بعدم السفر وذكرها بويلات الحرب في الشام وكيف وصلا مصر بصعوبة، وشعورهما بالأمان فيها، وقيمة ذلك.

وعدته ديما أن تحذر ابنتها وتخبرها بعواقب ماهي مقبلة عليه.

عاد آدم إلى بيته مشغول البال، وأخذ يعد حقائبه، ثم قرر ألا يخبر ريما بموعد سفرة حتى يهرب من مرافقتها إياه في الرحلة الخطيرة.

تناول الغداء ثم دلف إلى حجرة المكتب وظل يقلب في الكتب التي اشتراها والتي استعارها عن أفريقيا وعن معتقدات الفودو التي تنتشر في المنطقة التي سوف يسافر إليها، وتبين أنها ترتبط ارتباط وثيق بالسحر الأسود على مدى العصور الغابرة.

أخذ يفكر كيف سيدخل المدينة التي اختفى منها الوفد الأوروبي وبأي حيلة سوف يخترق عاداتهم ويسبر أغوار نفوسهم.

ظل هكذا حتى بزوغ الشمس، ولم يَذُق طعم النوم.

اتجه إلى عمله في الجريدة ثم قام بحجز الطيران للوفد المسافر إلى دولة بنين في غرب إفريقيا وقد تحدد موعد السفر في يوم الثلاثاء الساعة الرابعة صباحا.

بداية الرحلة

أعد آدم العدة للسفر مع محمد كاظم وحازم قدري واتجها إلى المطار في الثالثة صباحا دون إخبار ريما، وبعد إنهاء إجراءات السفر، جلس الثلاثة منتظرين النداء على رحلتهم عبر مكبرات الصوت بالمطار.

وصلت الرحلة بأمان إلى مدينة بورتونوفو عاصمة بنين، وأثناء مرورهم بالمطار لإنهاء إجراءات الوصول ودخول البلاد، فوجئ آدم بماريا تنادي عليه فنظر خلفه ليجدها تحمل حقيبة رمادية على ظهرها، وقد أنهت إجراءات الوصول كذلك مما يعني أنها كانت على متن نفس الطائرة، فغضب بشدة ولكنه حاول كظم غيظه حتى لا يسمع الناس صوته إذا ارتفع.

نظر لها وصمت طويلا وهي تبتسم وتقول:

هيا بنا إلى الفندق، هل ستتركني وحدي هنا؟

انطلق الأربعة إلى الفندق الأشهر بالعاصمة مستقلين أحد سيارات (التاكسي) ولكن وجدوا السائق يحدثهم باللغة الفرنسية ولم يكن أحدهم يجيدها سوى ماريا، فصارت تترجم لهم ما يريده السائق منهم، وما طلبه من مال نظير توصيلهم. هنا بدأ الجميع يشعر بأهمية حضور ريما معهم ولم يظهروا نفورا منها وعرفوا بأنها سوف تساعدهم كثيرا.

منذ اللحظة الأولى بدأ محمد بالتقاط الصور الفوتوغرافية لكل ما تقع عليه عينه ويجده مميزا، وكل شيء حولهم كان مميزا بالفعل ويختلف عما ألفوه في مصر.

أوصلهم السائق إلى أحد الفنادق وكان يبدو أنه فندق ضخم يضم عددا كبيرا من الغرف، مبني من خشب البلوط ومظهره يشبه الفنادق العتيقة التي يرونها في الأفلام الغربية التي تتحدث عن إفريقيا

حجزوا حجراتهم بالفندق، وكانت الحجرات شاسعة المساحة، تبدو مريحة بما فيها من فراش وثير، وأرائك، وحمامات نظيفة وحديثة.

وضعوا أمتعتهم فيها ثم تقابلوا جميعا في مطعم الفندق لتناول وجبة الغداء ولمناقشة خطتهم لذلك اليوم.

بدأ آدم كلامه بقوله:

نريد السؤال عن موقع مدينة جان فييه التي زارها الوفد الأوروبي، واختفى بها

فقال حازم أعتقد أنه بإمكاننا طلب الاستعلامات بالفندق لسؤالهم عن وسيلة المواصلات وكم تبعد هذه المنطقة عنا.

أخبرهم أحد العاملين بالفندق عن تلك المدينة فقال لهم:

_هذه القرية يقطنها أكثر من عشرين ألف شخص ويطلق عليها المدينة العائمة فهي تشبه فينسيا، والتنقل بالقوارب في شوارعها، ويقال إنه تم بناءها داخل الماء للهرب من تجارة العبيد التي انتشرت قديما في مدينو فون

القريبة منها حيث كان البرتغاليون يختطفون الأفارقة منها ويقيدونهم بالسلاسل ثم ينقلونهم عبر المحيط الأطلسي إلى أمريكا اللاتينية وأوروبا وغيرها.

حتى الأسواق عائمة على القوارب ومحلاتهم التجارية كذلك، أما منازلهم تتميز بأنها خشبية، وبعضها يشبه الأكواخ الطينية المغطاة بالقش.

_ هل حقا تؤمن بالشعوذة؟ قالتها ماريا بتعجب

_ كل بنين تؤمن بالسحر والشعوذة ويعتقدون في الأرواح التي تعيش معهم وتحميهم.

فقال حازم:

___ أرجو أن تسأليه عن ديانتهم، ولغتهم الرسمية فسألته وأجابها:

_ اللغة هي الفرنسية وبعض اللغات المحلية أما ديانتهم فمنهم الكاثوليك ومنهم المسلمون والقليل منهم ديانات محلية

إذن فلنستقل سيارة ونتجه إلى جان فييه لكي نبدأ عملنا.

استقل الفريق الصحفي مع ماريا سيارة واتجهوا إلى القرية، وخلال الطريق تحدثوا عما قرأوه على محركات البحث جوجل عن بنين ودول غرب افريقيا عموما، ولم يكن السائق مستوعبا لشيء مما قالوا بعد فترة من الزمن التفت إليهم وقال:

_ لقد وصلنا.

كسوف الشمس

كانت الساعة الثانية بعد الظهر بتوقيت بنين، ولكن قرص الشمس احتجب إلى حد كبير، وكأنهم في المساء. فقال حازم:

_ يبدو أننا في وقت كسوف الشمس

بضع دقائق مرت، ووجدنا أحد الرجال يقترب منا ويدور حولنا بشكل مريب، كان طويل القامة بشكل ظاهر لا يقل طوله عن المترين، يرتدي ملابس عبارة عن حُلة ملونة بألوان متعددة متداخلة، قميصا وسروالا، يحمل في يده حربة في آخرها سهما معدنيا مدبباً. بدأت ضربات قلب ماريا تتصاعد وبدا عليها القلق، ثم تجرأت وحدثته بالفرنسية قائلة:

_ مرحبا نحن من دولة مصر، أتينا في مهمة صحفية، ما اسمك؟

صمت الرجل ولم يجيبها، وبعد دقائق قليلة انطلق بعيدا عنهم، ارتاب آدم في الأمر، ثم قال لهم:

_ يجب أن نتحرك سريعا من هنا، ربما عاد إلينا مع غيره وحاول مهاجمتنا.

وافق الجميع على رأي آدم وساروا مسرعين في اتجاه الشرق، فعثروا على مبني مكون من طابق واحد، فصفق محمد ونادى بصوت مرتفع لكي يخرج له أحد من المبنى ولكن ذلك لم يحدث، فقال: _يبدو أنه مهجورا

هنا قالت ماريا لقد تورمت قدماي هيا نجلس هنا خلف المبنى لنستريح قليلا،

فوضعوا أمتعتهم، وجلسوا لتناول بعض الشاي أخرجته ماريا من ترمُس حافظ للحرارة كبير في حقيبتها الكبيرة التي كانت تحملها على ظهرها مع بعض الأكواب البلاستيكية

بعد ربع ساعة سمعوا جلبة قادمة من ناحية البحيرة التي تركتهم عندها السيارة، فأدركوا أنهم في خطر وربما قدموا إليهم.

انتفضت ماريا واقفة وقالت:

هيا بنا سريعا من هنا، فقال آدم: لا تخافي، أعتقد أنهم لن يرونا فنحن خلف المبنى غير ظاهرين، وربما لن نجد موضع للاختباء مثل ذلك.

تناولت ماريا الأكواب البلاستيكية منهم بعد أن انتهوا من شرب الشاي، ووضعتهم في كيس بلاستيكي، وأدخلتهم إلى الحقيبة، مخافة أن يرميهم أحدهم فتصبح دليلا على وجودهم في هذا المكان.

سمعوا صيحات، وهمهمات قريبة جدا منهم، فأومأ آدم إليهم بيده على فمه كي يصمتوا، وأنصت الجميع، نظر محمد من فرجة كانت في جدار المبنى منفذة إلى داخله، فرأى مجموعة من الرجال حوالي عشرين رجلا يحملون أحد أفرع الأشجار الضخمة معلقا به شيئا مغطى بالقماش.

فأشار إلى حازم وآدم لكي يروا ما رأى، وفعلا تبادلا الأماكن فرأوا الرجال يضعوا ما يحملون على الأرض، وجمعوا بعض الأخشاب، ثم أشعلوها أمام

المبنى بدأ محمد بالتصوير دون صوت ودون فلاش، بالكاميرا الليلية التي كانت معه.

بعد دقائق خرجوا من المبنى جميعا، ونادى أحدهم بصوت عالٍ، فأخرجوا فرع الشجرة المحمول عليه شيئاً مغطى بالقماش

فهمس آدم لريما: ماذا قال؟

_ قال لهم أخرجوا القربان

هنا انتبه الصحفيون واقتربوا من المشهد بحذر دون أن يراهم أحد، فلاحظوا أن أحد الرجال يخلع القماش من فوق فرع الشجرة وكان لفافة كبيرة من الكتان الأبيض، وبعد انتهائه ظهر تحتها طفلٌ أمهق (ألبينو) مغمض العينين

فغر الصحفيون فاهم، وارتبكت ماريا، فقد فهمت أن القربان هو ذلك الطفل

صاح زعيم الرجال قائلا:

_أفيقوا الولد

فهمست ماريا:

_يطلب منهم إفاقته

اقترب أحد الرجال وكان عاري الجسد إلا من حزام ضخم مغلفا بالريش ومعه قطعة قطن قربها من أنف الطفل فأفاق مباشرة

ابتلع الصحفيون ريقهم وجحظت عيونهم وهم لا يصدقون ما يروا، سحب أحد الأشخاص سكينا كبيرا وفي لحظات نحر الصغير وهو يردد كلمات غريبة لعلها تعاويذ سحرية، ويردد من خلفه الرجال نفس ما قال، سقط الطفل مضرجا في دمائه، وتحرك يمينا ويسارا وكأن الذبيح يتراقص من الألم حتى لفظ أنفاسه الأخيرة

زاد اشتعال النار فوضعوا الطفل فوقها ليتم الشواء وتتصاعد رائحة احتراق اللحم البشري بينما يصرخ الرجال ويدورون حوله في حلقة واسعة ويصدرون أصواتا غريبة متشابكي الأيدي، ينظرون من حين إلى آخر نحو قرص الشمس المغطى بظل القمر، وكأنهم ينتظرون حدثا ما.

سقطت ريما مغشيا عليها حين رأت المنظر، واحتار آدم فيما يفعل فأشار له حازم أن يحملها بسرعة وينصرفوا عبر طريقا ضيقا كان خلفهم، فقال محمد هيا بسرعة المكان هنا خطر جدا.

فعلا حملها آدم وتبعه حازم ولكن محمد خطف نظرة أخيرة من الفرجة، بعد أن صور ما رأى.

ساروا في الطريق الضيق، فوجدوا أنفسهم في طريق طويل مليء بالأشجار الكثيفة، شيئا فشيئا دلفوا إلى داخل الغابة.

لم ينبس محمد ببنت شفة، فقال آدم هيا نجلس لإفاقة ماريا، فجلسوا تحت ظل أحد الأشجار وكان كسوف الشمس قد انكشف وظهر نورها ليغلف الأشجار بالأشعة الذهبية التي تبعث على النشاط. نثر آدم بعض الماء على

وجه ماريا فأفاقت، ودموعها تغطى وجهها ثم قالت: قل لي أنني كنتُ أحلم لا يمكن أن يكون ما رأيته حقيقياً.

فقال لها آدم: ألم أطلب منكِ عدم الحضور؟ ولكنك أصررتِ على ذلك.

فصمتت ودموعها تنساب على وجهها

قال حازم: لا وقت لدينا يجب أن نبحث عن مكان نأوي إليه، نحن في الغابة الآن وقد نتعرض للمخاطر، إنها إفريقيا أتفهمون؟

فقال محمد: ربما ظهر أحد الحيوانات المفترسة هيا يا ماريا هيا يا آدم لا وقت لدينا.

استعدوا للمغادرة حيث نهضوا جميعا، وحمل آدم حقيبة ماريا على ظهره، فقالت له أستطيع حملها

قال:

_لا داعي إنها معي لكي تتحركي بسرعة.

ساروا لبعض الوقت، ثم عثروا على كوخ خشبي له باب معدني من الصاج فتوقفوا عنده.

طرقوا عدة طرقات على باب الكوخ، ولكن ليس من مجيب

دفع محمد الباب بخفة، فانفتح بلا أدنى مقاومة، وكأنه كان مغلقا صوريا فقط.

دخلوا جميعا الواحد تلو الآخر بعد أن أضاء محمد المصباح.

وضعوا حقائبهم الصغيرة على أحد المناضد التي تتوسط الردهة، فقال آدم تجولوا أولا بحرص داخل المكان لإلا نتفاجأ بشيء، شرعوا في التجول والنظر جيدا حولهم باهتمام، وفي خلال لحظات لاحظوا وجود ملابس أحد الرجال، وفراش غير مرتب مما يعني أن أحدهم يعيش هنا، ولكنه بالخارج حاليا.

نظرت لهم ماريا بذعر وقالت:

_ فلنبتعد عن المشاكل ولنخرج حالاً، الرجل لم يدعونا إلى الدخول وقد اقتحمنا منزله.

فقال آدم:

_ فلننتظره إذن، ونحاول إقناعه باستضافتنا حتى الصباح، ولو حتى نظير المال.

فجلسوا جميعا على المقاعد حول الطاولة الرئيسية في مدخل الكوخ وتركوا الباب مفتوحا على مصراعيه.

حمزة

عاد صاحب الكوخ من الغابة، وحينما وقعت عيناه على الكوخ توقف أمامه مشدوها، ثم أخرج قوسا وسهما فضرب السهم بسرعة فانطلق خارجا من القوس متجها إلى الحائط المقابل إلى الطاولة التي يلتف حولها الفوج الصحفي، فصرخت ماريا، وانتفض حازم ومحمد وهب آدم واقفاً مواجهاً للباب ليرى ما الأمر، ثم أشار إلى الرجل أن يأتي ورفع يداه علامة على التسليم، وعلى أنه لا يريد به ضرر.

تقدم الرجل من كوخه، وقال بلكنة فرنسية واضحة:

_ من أنتم ولماذا أتيتم إلى هنا، وكيف دخلتم إلى كوخي؟

نظروا جميعا إلى ماريا التي بدأت تترجم لهم ما قال، فقالوا لها أخبريه أننا سائحين ضللنا الطريق ونود أن نقضي الليل معه في الكوخ حتى الصباح

فأوصلت ماريا الرسالة

ثم قالت لهم:

_هو يسألكم مقابل ماذا؟ كم ستدفعون؟

قال آدم:

_مائة فرانك

_ فقال الرجل موافق:

فأشار إلى حجرة داخلية يمكنهم تبديل ملابسهم بها الواحد تلو الآخر كما يمكن لماريا المبيت فيها بينما يبقى الرجال في الردهة الواسعة التي تحتوي على عدة أكياس مخصصة للنوم، وعدة فُرُش.

فأشاروا بالموافقة.

اشترط عليه آدم أن يدفع المال غدا قبل الرحيل، فوافق.

بدلوا جميعا ثيابهم، ثم وضعوا الشطائر والمخبوزات التي أحضروها معهم من حقائبهم وجلسوا لتناول الطعام

سألت ماريا الرجل عن اسمه فقال: حمزة

سأله آدم:

_هل تعرف الإنجليزية؟

فرد باقتضاب: قليلا

فابتسم آدم وقال: الحمد لله هكذا يمكننا الحديث معه، حين تمضي ماريا لتنام

مرت ساعة وهم ينظمون أنفسهم ويتناول كل فرد منهم حاشية قطنية فُصِّلَت على هيئة كيساً للنوم، ولها سحاب لإغلاقه.

ثم قال حازم:

_حمزة ما ديانتك؟

فقال حمزة:

_ أنا مسلم

فانفرجت أساريره، وسأله هل يمكننا الحديث معك حتى يحل موعد النوم؟

فدعاهم للخروج أمام الكهف، وقام بوضع بعض الأخشاب أمامهم، وسكب عليها بعض الكيروسين ثم أوقدها

فبادر محمد بالحديث:

_ يبدو أن الطقس هنا متغير، ففي النهار كان الجو حار وحاليا هو بارد

_ هذا صحيح، مناخ استوائي بامتياز

_ هل يوجد مسلمون كثيرون هنا؟

_ حوالي ثمانية وعشرون بالمائة من عدد السكان.

فقال آدم مبدي عدم الاهتمام:

_ نسمع بانتشار الخرافات، والشعوذة في هذه الدولة ألهذا أساس من الصحة؟

_ بالطبع، معظم السكان يعرفون السحر الأفريقي المعروف باسم (الفودو) وهناك كهنة ودور عبادة توضع التماثيل بداخلها، ويظنون أنها تحميهم أيضا من قوى الشر

فقال حازم: ولكن كيف يعيش المسلمون رغم هذا هنا؟

_ يتكيفون مع الأوضاع، فنحن نسيج واحد منذ أن استقلت بنين وتم تغيير اسمها من داهومي إلى بنين وبدأ عهد جديد نحاول تغيير المعتقدات البائدة فيه، ونحاول نشر التعليم وتعويض ما فاتنا

فتجرأ آدم وقال: ولكننا قرأنا مؤخرا في الصحف عن وفدا أوروبيا زار بنين وقد اختفى كل أفراده تقريبا

_ فنظر حمزة بتردد وقال:

_ ليس كل ما تقرأه تصدقه

ربما قد تاه في الغابة ولم يستطع الخروج منها

_ كيف ذلك؟ ألا يوجد حارس للغابة أو دليل يعاون الناس في الخروج من مدارجها المتعددة؟

_ الحقيقة يوجد إهمال في ذلك، لم يهتم أحد بتوفير الدليل لذلك الأمر، ولا أحد يعرف الحقيقة على وجه التحديد

فقال آدم: ألا يمكنك مصاحبتنا كدليل حتى رجوعنا إلى وطننا مصر، مقابل مبلغ من المال؟

_ سأفكر

دلف الجميع إلى داخل الكوخ للنوم ومرت الليلة عليهم جميعا بسلام

في الصباح الباكر، نهض حمزة مبكرا وجلب بعض الأخشاب إلى الكوخ كما استيقظ محمد، وحازم وآدم بعده بساعة، ثم طرق آدم الباب على ريما ليوقظها، وبعد عدة طرقات فتحت الباب وخرجت إليه قائلة: متى سنعود إلى الفندق كفانا ما رأينا بالأمس

_ هيا تعالي لنفطر ونتجول في الغابة قليلا فهذه فرصة قد لا تتكرر مجددا أبداً

اجتمع الجميع على مائدة الإفطار، وبعد الانتهاء منه، قال حمزة أنا موافق وسأكون مرافقا لكم داخل الغابة وفي بنين كلها

فانفرجت أساريرهم جميعا، ما عدا ريما التي لم تفهم ما يقصدون.

اتفقوا على أن يوصلهم حمزة إلى آخر مكان وصل إليه الوفد الأوروبي قبل اختفائه، فوافق بعد تردد، هنا جمع كل منهم حاجياته الأساسية من هواتف محمولة وكاميرات للتصوير، ومفكرات لكتابة الملاحظات وكشاف للإضاءة الليلية فهم لا يعرفون كم من الوقت سيستغرق البحث.

خرجوا جميعا إلى أعماق الغابة، وحاولوا أن يسيروا بخفة دون إحداث صوت خوفا من لفت الانتباه، قال لهم حمزة:

_قاربنا على الوصول، وأحب أن أخبركم أنه يوجد كوخ بداخل أحد الجبال في الموقع الذي نقصده وكان الوفد يدخله باستمرار للراحة.

فقال آدم سندخل لتفقد الكوخ. انطلق الجميع إلى داخل الكوخ بدون تريث فصاح حمزة: _على رسلكم لا ندري ماذا سنجد بالداخل

اخترقت كلماته أذن ماريا فقالت:

_آدم أخشى وجود أحد الكائنات الغريبة بالداخل

فتوقف الجميع ونظر إليها آدم وقال لماذا تقولين ذلك؟ ألم يخبرنا حمزة أن الوفد الأوروبي دأب على الاستراحة فيه.

ودعانا إلى التريث حاليا ألم تسمعوه؟ قالتها ماريا

تراجعوا قليلاً، وقال حازم:

_ أنا سأدخل أولا ثم أنادي عليكم لتتبعوني بعد تحري الأمر

وفعلا دخل بحذر، وبعد دقائق نادى:

_هيا تقدموا

دخل آدم ثم تبعته ماريا ثم محمد ولحق بهم حمزة، وفي خلال دقائق انتشروا جميعا داخل الكهف واتخذ كل منهم مكانا للجلوس فوق أحد الصخور التي انتشرت بداخل الكهف الفسيح.

كما عثروا على بعض الأمتعة والحقائب التي تنم عن وجود من سبقهم إلى ذلك المكان.

تجاذبوا أطراف الحديث، وقال لهم حمزة احذروا، فنحن لا نعلم ما سوف نقبل عليه هنا.

فنظرت إليه ماريا بخوف وقالت:

_لماذا تصر على إفزاعنا؟ نحن حتى الآن نجد كل شيء عادي، ولم نعثر هنا على ما يخالف المألوف

وفجأة سمعوا صوتا قويا ينبع من داخل الكهف فتجمدوا في أماكنهم، وقال حازم:

_ما هذا بالله عليكم؟

فانتفض حمزة وخرج من الكهف ثم صاح يبدو أن وحشا بالداخل لابد من إحضار أدوات صيد

نظر آدم إلى ماريا فوجدها مرتعبة، ودموعها تتساقط، فلم يستطيع كبح جماح نفسه وصاح بها: ألم أحذركِ من هذه الرحلة؟

فقال له محمد: مهلا يا أخي لا تزد عليها الضغط، سينصرنا الله.

فقال حازم:

ماذا تنتظرون؟ هيا سريعا لنخرج من هنا

نهضوا من مواضعهم وكأنه لفت نظرهم لشيء قد غاب عن تفكيرهم، وعندما هموا بالخروج من الكهف وجدوا بابا من الصخر هبط فجأة من سقف الكهف وأغلق الكهف تماما.

هنا صرخت ماريا: لا لا مستحيل كأنه فيلما مرعبا

فحاول آدم إزاحة الباب أو الطرق عليه دون فائدة، هنا قال محمد:

_يجب علينا البحث عن بابا آخر بالداخل، أحيانا يوجد فتحات في الجبال جانبية، هيا نبحث هيا

انتشر الجميع داخل الكهف للبحث بعد أن بعث محمد بكلماته الأمل في نفوسهم.

كانوا يحملون كشافاتهم اليدوية، ويتناوبون على الأماكن المتاحة أمامهم.
إلى أن سمعوا حازم يناديهم:
_ لقد عثرتُ على باب هيا تعالوا
انطلقوا منبهرين متحفزين على وجوههم علامات الإصرار والحذر
كان الباب يتسع لمرور شخص واحد، فبدأ حازم بالمرور ثم آدم ثم ماريا ثم محمد
وجدوا أنفسهم داخل عالم غريب جدا، وكأن ضبابا كثيفا يحيط بهم ويغلف كل الوجود من حولهم

بوابة إلى المستحيل

ساروا بضع خطوات ثم سمعوا صوتا صاخبا يأتي من ناحية اليمين، فاتجهوا بنظرهم نحوه، فرأوا حيوانا ضخم جدا يشبه الفيل وله سنا كبير ملتوي، ابتعدوا وهم يرتجفون، واختبأوا خلف أحد الصخور، فرأوا خلف الحيوان الضخم عدد كبير من الحيوانات على شاكلته يتصايحون ويسيرون في ترتيب غريب، وبعد قليل ظهر من الناحية اليسرى حيوانا ضخم يشبه التنين وخلفه عدد من الحيوانات مثله، يصخبون ويتحركون بغير انتظام، فنظر آدم إلى أصحابه وقال بصوتٍ خفيض يبدو أن معركة ستقوم بين الفريقين.

صمتوا جميعا مترقبين وبعد عدة دقائق اقترب حيوان الماموث الضخم من التنين القائد وأصدرا أصواتا مرعبة وكأنهما يتفاهمان، ثم فجأة بدأ أتباع الماموث يهاجمون أتباع التنين، وقامت بين الفريقين معركة حامية اعتز لها قلب أفراد الوفد الصحفي، ثم انصرف الجميع واحدا تلو الآخر ومن بينهم المصابين، وأصوات الألم تصدر منهم كهدير الشيطان.

ابتلعت ماريا ريقها، وقالت:

_ أين نحن بالضبط؟ ألم تنقرض هذه الحيوانات؟

صمت الجميع ولا مجيب، أومأ لهم محمد أنه صور كل ما رأى، وقال هيا بنا،

ساروا ببطء في اتجاه عكس اتجاه الحيوانات التي اختفت من المكان منذ قليل، فرأوا واديا واسعا مكتسيا باللون الأزرق وكأنه مصنوعا من البلور، دخلوا إليه بحرص شديد، فرأوا بداخله تماثيلا ضخمة من الذهب الأصفر تلمع في ضوء الشمس، فتعجبوا أكثر، ثم مروا من خلال الوادي إلى الجهة الأخرى فرأوا قصرا منيفا من الفضة تعجبوا أكثر، وقالت ماريا:

_هل ستكملون طريقكم أم نعود من حيث أتينا؟

فقال حازم:

_ لا عليكم سنكمل الطريق، لا تنظروا لي فماذا نملك، أتظنون أننا نختار، إنه قدرنا ولا فرق سواء دخلنا القصر أم هربنا، فنحن نسير إلى المجهول

فقال آدم:

_ صدقت كل الاحتمالات واردة سواء رجعنا أم بقينا

سار الجميع بحذر حتى وصلوا إلى باب القصر الفضي، فوجدوا أمامه جهازا ضخما به لوحة مفاتيح إلكترونية تعمل باللمس، فتعجبوا كيف يجتمع ما يروه من رمز للتقدم مع الحيوانات المنقرضة؟

المهم انهم جربوا عدة أرقام متتالية حتى انفتحت البوابة

دلفوا إلى حديقة القصر التي امتلأت بأشجار كثيفة ثمارها من الأحجار الكريمة مثل الزبرجد والكهرمان والزركون والفيروز، وأرضيتها من الزمرد، والأثاث الفاخر الفريد لم يروا له مثيل من قبل، سمعوا صوت

خطوات قادمة من بعيد فقرروا الاختباء حتى يروا طبيعة أصحاب القصر ويستشفوا من كلامهم هل يساعدوهم أم لا.

اختبأ الجميع خلف ستارة كبيرة على الحائط، ثم رأوا رجلين يبدو عليهما الهرم يتحدثان بصوت عال عن معركة هامة وكيف يتم إرسال المدد للجيش، فقال أحدهما:

_ألم أخبرك يا زهران أن الفرسان عددهم غير كافٍ؟ ولابد من السرعة في إرسال الفرسان من كوش ليلحقوا بالجيش لا وقت لدينا

_حالا يا سيدي أصدرتُ أمرا توا بتجهيزهم وسوف يسافروا اليوم بعد قليل

أشار له الملك فانصرف بينما دلفت فتاة في العشرينات من عمرها، ترتدي ثوبا زهري يعلوه عقدا من اللؤلؤ ويتدلى شعرها الأحمر المتموج على كتفيها، ثم قالت:

_ أبي ما أخبار الغرباء الذين عثرت عليهم منذ أسبوعين في حديقة القصر؟

_ تعلمين أنني تركتهم في قصر الأفكار منذ ذلك الحين، ولم أتفرغ لأمرهم بعد، الحرب قامت بيننا وبين مملكة الذهب ونحاول صدهم حتى لا يحتلوا أرضنا يا لامار

_ نعم يا والدي أعلم كان الله في عونك، وكنتُ أتمنى لو سمحت لي بتولي أمرهم، فقد شغلني هذا الموضوع وأفكر فيه كثيرا

_ ولمَ كل ذلك؟

_ مظهرهم وملابسهم الغريبة ولغتهم التي لا نعرفها، وظهورهم المفاجي، بل ورد فعلهم عندما اقتدناهم إلى القصر البعيد، كلها أمور تثير الحيرة

_ إذن سأترك لك الأمر ولكن اطلعيني على ما يحدث أولا بأول

_ سمعا وطاعة يا أبي

انصرفت الفتاة، واختمرت فكرة في عقول محمد وآدم وماريا، فنظروا إلى بعضهم بعضا، وقال آدم يبدو أننا سنصل إلى هدفنا عما قريب.

قالت ماريا فلنظهر للملك ونبدي رغبتنا في مساعدته وكشف الحقيقة له

_ مهلا يا ماريا، فلنتواصل مع الأميرة أولا فهو ليس متفرغا للأمر كما قال.

بعد عدة دقائق انصرف الملك من مجلسه، فخرجوا من بهو القصر إلى الحديقة الخارجية، وتسللوا دون أن يرهم أحد، ثم عثروا على كوخا خشبيا في الحديقة فارغا إلا من طاولة حولها عدد من المقاعد. فدخلوا إليها.

قالت ماريا نترقب ظهور الأميرة ثم أتقدم منها، وأحدثها في الأمر ولو حدث أي خطر سأشير لكم بيدي من الخلف لتأتوا.

_ اتفقنا.

بعد عدة دقائق ظهرت الأميرة وهي تسير بالقرب من نافورة ذهبية تحيطه بركة مياة زرقاء صافية. فتبعتها ماريا وتقدمت منها ببطء، ثم قالت لحظة من فضلك.

التفتت إليها الأميرة مندهشة وقالت في انفعال واضح:

_ من أنتِ وكيف دخلتي إلى القصر الملكي؟ هلا تجيبي بسرعة، وما هذه الملابس الغريبة؟

شعرت ماريا إنها وقعت في مأزق، فتناولت أحد المحارم من حقيبتها وجففت به عرقها الذي سال بغزارة من أثر شعورها بالخوف، وقالت:

_ أنا ماريا ودخلت من باب القصر إذ لم يقابلني أحد لمنعي، سوف أقص عليكِ كل شيء لو تمنحيني فرصة، أنا لدي معلومات عن مجموعة من الصحفيين اختفوا فجأة وأظن أن لدي إجابات لأسئلة كثيرة تدور بخلدك.

_عجيبٌ أمرك، كيف علمتي بشأن الغرباء الذين يشغلون تفكيري؟ هل أنتِ ساحرة؟

ارتبكت ماريا من هذا الاتهام، ثم قالت: لا لا أنا مثلهم من عالم آخر غير الذي تعيشون فيه، حقبة زمنية لم تأت بعد، أرجوكِ أريد مقابلتهم أنا وأصدقائي

_ ماذا أصدقائك؟ وهل معكِ أحد؟ لمَ لا تخبريني بهذا منذ البداية؟

_ مهلا. سأقص عليك كل شيء ولكن اعطينا الأمان في البداية وأعدك أن كل شيء سيتضح.

فكرت الأميرة دقائق ثم قالت: لكِ الأمان لو علمتُ أنكِ لستِ من الأعداء

انفرجت أسارير ماريا، ثم قالت: هل سمحتي لي بالجلوس معكِ لنتحدث سويا

_ نعم بالتأكيد

جلستا في حديقة القصر على مقعدين من الرخام الأبيض تحوطهما الأشجار الكثيفة من كل جانب، بينما آدم ورفيقيه ينظرون إليهما من بعيد مترقبين لما يحدث.

قصت عليها ماريا كيف اختفى الوفد الصحفي من دولة بنين الإفريقية، بعد دخوله إلى الكهف الجبلي، ومن ثم تم قدوم وفد صحفي للبحث عن المختفين ومعرفة سر ما حدث لهم.

الأميرة لم تبد أي رد فعل وبدا عليها التفكير، ثم قالت لماريا إذن فليظهر أصدقاءكِ ولتأتوا معنا لمكان الغرباء لنرى.

اتجهت ماريا إلى آدم ومحمد وحازم وأخبرتهم بما حدث، فأشار عليهم حازم أن يذهب ثلاثة منهم وينتظر أحدهم هنا حتى يتصرف لو وقع لهم مكروه، لينقذهم في أسوأ الظروف، فوافقوا جميعا.

اللقاء المنتظر

ذهبت ماريا وآدم ومحمد مع الأميرة، فطلبت منهم قيادة أحد العربات التي تجرها الخيول البيضاء وأن يسيروا خلف عربتها إلى المكان المتفق عليه. سار الجميع والحذر يفرش عباءته عليهم جميعا، وصلوا بعد نصف ساعة إلى قصر كبير أصفر اللون يحوطه سور حديدي يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار، فنظروا إليه في ريبة، فأشارت إليهم الأميرة لينزلوا من العربة، ويدخلوا خلفها إلى داخل القصر.

دخلوا من البوابة الضخمة التي يحيط بها الحراس من كل جهة، ويقبع أسدان ضخمان داخل قفصين حديديين على جانبي الممر المؤدي إلى الباب الداخلي للقصر، وتعجبا لما رأيا الأسدين وارتعبت ماريا وتشبثت بقميص آدم وهو يسير أمامها متظاهرا بالقوة، كان الباب الداخلي من الزجاج السميك الأبيض نقش عليه كلمات غير مفهومة بلغة لا يعرفوها، وعليه رسومات لزهور حمراء وخضراء رقيقة، انبهرت ماريا بشكل الباب الذي يعد تحفة فنية، ولم يمنعها من إظهار إعجابها سوى الموقف الصعب المقبلين عليه.

أشار لهم أحد الحراس بعد اجتيازهم الممر أن يتبعوه، ولاحظوا حارسا آخر يسير خلفهم، ثم هبطوا جميعا درجا رخاميا متجها إلى الأسفل، لمسافة

طويلة، يصل عدد درجاته إلى خمسين درجة. وفى نهايته ممرا آخر مكسو بالنحاس اللامع، في نهايته باب ضخم يؤدي إلى بهو القصر. فتح الحارس الباب فدخلوا جميعا، ثم تم اغلاقه.

كانت الأميرة تجلس على مقعدا عظيم مطعم بالجواهر الملونة، فقالت لهم: مرحبا بكم، لقد جئتم من سفر أعتقد أنكم بحاجة إلى الطعام وإلى الراحة، سيصحبكم أحد الحراس إلى غرفة الطعام، ثم يرشدكم بعدها إلى غرف النوم لتستريحوا حتى الصباح، وغدا نلتقي هنا.

فشكروها على حسن الضيافة وساروا مع الحارس إلى غرفة الطعام، وحين دخلوها وجدوا منضدة ضخمة حولها عدد هائل من المقاعد، وفوقها أنواع كثيرة من الأطعمة التي لا يعرفونها، فقالت ماريا: كيف نأكل هذه الأصناف الغريبة؟

يمكننا تناول الفاكهة فهي الوحيدة التي نعرفها، فتناولوا التفاح والموز، وبعد انتهائهم خرجوا من الغرفة، فوجدوا حارس في انتظارهم أوصلهم إلى مكان غرف النوم وكانت ثلاثة غرف متقابلة، فدلف كل منهم إلى حجرته، ونام الجميع رغم القلق الشديد.

في الصباح تقابلوا جميعا بداخل البهو وكانت الأميرة تنتظرهم، فقالت: الآن سأستدعي الغرباء لتقابلوهم ثم تخبرونا بقصتهم كما هي دون كذب.

_ فقالوا: أمرك يا سمو الأميرة

مرت دقائق ثم انفتح الباب ودخل الرجال والنساء وكان عددهم عشرة سبعة رجال وثلاثة نساء. يرتدون ثيابا قديمة يبدو أنها نفس ثيابهم التي سافروا بها من غرب إفريقيا، أشارت لهم الأميرة بالجلوس.

فجلسوا جميعا وبدأت الأميرة بسؤالهم عن سبب حضورهم إلى هذه المملكة، وهل ينتمون إلى مملكة الذهب؟

فلم يجيبوا. فقالت ماريا لو تسمح لي الأميرة بالكلام؟

_ تكلمي

_ ربما لا يفهمون لغتك، فربما إن استطعت سؤالهم بلغة أخرى قد يعرفونها ويجيبون

فأومأت الأميرة بالموافقة

فكلمتهم ماريا باللغة الفرنسية وترجمت لهم أسئلة الأميرة، فأجاب أحدهم بالفرنسية أنهم جميعا من فرنسا، وقد دخلوا هذا المكان للاختباء على أثر تتبع أحد النمور لهم في الغابة، وساروا طويلا داخل الكهف حتى دخلوا من البوابة التي تبدو أنها بوابة زمنية نقلتهم إلى المملكة دون قصد أو رغبة منهم في ذلك، ويريدون العودة إلى وطنهم.

ترجمت ماريا ما قالوا إلى الأميرة، فتعجبت من موضوع البوابة النجمية، وقالت إنها قديمة ولم يستخدمها أحد منذ آلاف السنين، ثم سألتهم عن موضعها، فأجابت ماريا بأنها في داخل الكهف الذي دخلوا فيه أيضا ووصلوا من خلاله إلى نفس النهاية وهي المملكة

فأصدرت الأمر بأن أحد قواد الجيش يذهب مع اثنين من الوفد وليكن آدم وإيثان الرجل الفرنسي ليرشدوه إلى مكان البوابة ليعود للأميرة بالخبر اليقين.

ذهب القائد معهما حيث القص الملكي وساروا في نفس الطريق الذي جاءوا منه ثم دلاه على موضع البوابة، فطلب منهما انتظاره حتى يعبرها، فقالوا لا تفعل ذلك فنحن لا نعرف عنها الكثير ربما ذهبت ولم تستطع العودة لأي طارئ

أخبر الأميرة بموضعها أولا ولها القرار. فوافق وعاد الثلاثة إلى قصر الأفكار.

المهمة السامية

في القصر حين تبين للأميرة صدق حديثهم، أخبرتهم بأنها ستخبر الملك بأمرهم جميعا، وعليهم الانتظار هنا حتى الصباح، حيث يتم استدعاءهم، ويتم التصرف معهم.

قابلت الأميرة لامار والدها الملك، ثم أخبرته بكل ما حدث، وتوالت الانفعالات على الملك، فثار وقتال لها لماذا لم تخبريني بما حدث وتصرفتِ وحدك؟

فقالت: لقد استأذنتك أن أبحث الأمر، وأنت وافقت. أخبرني فيم أخطأتُ؟ أريد معاينة البوابة الزمنية بنفسي. فأرسلت إلى قائد الجند ليأتي ويصحب الملك إلى موضع البوابة الزمنية.

حين وصول الملك إليها تعجب كثيرا وقال:

كيف لم أرى هذا المكان من قبل؟

وتذكر ما قصه عليه جده عن هذه البوابة التي تلغي حدود الزمان والمكان، وتسافر إلى الماضي وإلى المستقبل أحيانا. فأخبر القائد بضرورة العبور منها وتجربتها. فقال القائد دعني أنا أفعل ذلك يا مولاي حتى لا يصيبك مكروه.

فأصر الملك على مرافقته، وعبرا معا البوابة فوجدا أنهما بداخل كهف مظلم، تعثر الملك في حجر على الأرض فصرخ صرخة اهتزت لها أرجاء الكهف، انتفض قائد الجند، وقال ماذا يا موالي؟ هل تعثرت؟

نعم يبدو إنه حجر على الأرض

_أتريد العودة وأنا أكمل الطريق؟

_لا أنا بخير هيا بنا

سارا داخل المكان باحتراس مسافة فلم يعثروا على فتحة للباب، فقال القائد:

ما هذا المكان المظلم الكئيب، أدعو الله أن يفتح لنا بابا للخروج

بعد قليل سمعوا صوتا قويا، ورأوا بابا صخريا يرتفع إلى أعلى محدثا ضجيجا ثم رأوا فتحة كبيرة هي في حقيقتها بابا للكهف، فظهر النور من خلاله، حمدا الله ثم هما بالانصراف من خلال الباب ليروا ماذا يوجد بالجانب الآخر، وحين خرجوا وجدوا أنفسهم في غابة كثيفة الأشجار، وسمعوا صوتا ينادي قائلا بالإنجليزية: آدم. آدم.

فأقبلا عليه، ولا حظا ملابسه التي تشبه ملابس الغرباء، وسأله الملك من أنت؟ فأجابه أنه صائد حيوانات في الغابة، وأن مجموعة من أصدقائه كانوا معه، دخلوا إلى الكهف ففقدهم، وهو في قلق وحيرة عليهم منذ يومين، وكان ينادي على أحدهم ربما سمعوه وعادوا.

فصدق الملك كلام آدم ومن معه، وسأل الرجل عن اسمه، فأجابه حمزة.
فأخبره قائد الجند أنه يعرف مكان أصدقائه، ولكن لابد من عبور البوابة النجمية ليعود إليهم ويعيدهم إلى هذا المكان. بعد قليل سمعا صوتاً قوياً يأتي من الجهة الشرقية من الغابة، فقال الملك: ما هذا؟ فأجابه حمزة: إنهم مجموعة من أهل البلدة يهتفون ببعض التعاويذ قادمون لإجراء طقوسا دينية بالغابة يقومون بها في هذا الوقت من كل عام يضحون بالأولاد ويلطخون بعدها أجسامهم بدمائها.
فبرقت عينا الملك ونظر إلى قائد الجند وقال: كيف ذلك؟ أليسوا بشرا؟ أحضرهم لي بسرعة
امتعض حمزة عندما سمع كلام الملك وأشار إلى خطورة ذلك، فعددهم كبير يفوق المائة رجل، ومسلحين بالسهام والأقواس، ولو حاول الاقتراب منهم فسوف يحدث مالا يحمد عقباه.
لم يلتفت الملك لكلمات حمزة وإنما أومأ إلى القائد أن يتحرك
سار القائد مسافة طويلة باحثا عنهم في اتجاه الصوت، فرأى عاصفة من التراب تثيرها أقدامهم، وهم يأتون من بعيد، تحقق من أشكالهم فوجدهم زنوج طوال القامة يلبسون أحزمة جلدية حول خصرهم عليها ريش الطيور، ويحملون سهاما وأقواسا، وحراب خشبية، وبعضهم فوق خيول دهماء. أدرك الرجل أنه لا قِبل له بهم وهو وحيد وأعزل

ولابد أن يعود إلى الملك ليشرح له خطرهم، ربما هاجموهم، فعاد في الحال والملك ينتظره مع حمزة، فلما رآه عائدا وحده، قال: أين هم؟
فأخبره القائد أنه لا قِبل له بهم وهو أعزل وأن حديث حمزة كان صائبا.
فقال الملك إذا فلنرجع إلى مملكتنا ونحضر العتاد والجنود لملاقاتهم
فقال القائد: اسمح لي يا مولاي. الطريق صعب وماذا سيعود علينا بذلك؟ هم في زمنٍ آخر وعالم آخر تحكمه قوانين مختلفة.
فقال الملك: ربما أرسلنا الله إليهم من أجل نشر دينه، وتوضيح الحق لهم. هم مضللين، ويعصونه، وعلينا واجب مقدس في إيقاف هذا العبث والجرائم الإنسانية التي لا يمكن حدوثها في مملكتنا.

فأخبره حمزة برغبته في مرافقتهم إلى مكان أصدقائه، فقالوا المكان مظلم، ولا مصدر للضوء معهم. أحضر حمزة كشافا في الحال وطلب منهم أن يرافقوه، فغادر الثلاثة الغابة ودخلوا الكهف ومن ثم عبروا من البوابة النجمية، إلى الغابة المليئة بالحيوانات الضخمة المنقرضة، ثم اتجهوا نحو قصر الملكي ووصلوا جميعا إليه.
ما إن لمح آدم وماريا حمزة حتى تهللت ملامحهم، وعلموا أنهم اجتازوا الاختبار بنجاح.

امتن الملك لهم لأنه كان يبحث عن هذه البوابة منذ زمن طويل، والآن عرف مكانها بسببهم.

استقبلهم الجميع بفرحة غامرة واستبشروا بأن الملك علم صدق حديثهم بنفسه، وهنا قرر الملك منحهم تذكارا عبارة عن جوهرة لكل واحد منهم، إذا قربها من ضوء الشمس رأى المكان الذي يفكر فيه، لكي ليتذكر مملكة الجواهر وملكها الطيب.

ثم أخبرهم بما رأى وضرورة التصدي لهذا الجهل والشعوذة، ثم أخبرهم أنه سيأتي معهم وبرفقته عدد من جنود جيشه مدججين بالسلاح تحسبا من مقاومة الرجال لهم.

خرج الفوج الصحفي الفرنسي مع آدم ومحمد وماريا وحمزة، وقد التقط محمد مجموعة كبيرة من الصور، وقابلهم حازم بالخارج وقد قلق عليهم كثيرا، فقصوا عليه ملخص ما حدث على عجالة وسارع الجميع تحت حماية حراس الملك وجنوده يتقدمهم الملك إلى موضع البوابة فعبروا منها، ودخلوا الكهف، فوجدوا الباب مازال مفتوحا، فخرجوا جميعا مسرعين قبل أن يغلق عليهم مرة أخرى.

فأخبرهم حمزة بضرورة البقاء في بيته الخشبي بالغابة الليلة حتى الصباح، ليروا كيف سيعودون.

أخبروا حمزة برغبتهم في رؤية ما يحدث، وهنا جلس الملك على أحد الصخور بالقرب من الكهف، وأومأ للجنود فانصرفوا لإحضار الرجال، في تلك اللحظة تذكرت ماريا المنظر البشع الذي رأته من طقوسهم، وكيف فقدت وعيها حينها من أثر الصدمة، فأخبرت الملك بأنه ملك عظيم إذ لم يتركهم في غيهم وأصر على إنهاء هذه المهازل.

بعد ساعة، عاد الجنود ومعهم بعض الرجال من الزنوج، وأخبروا الملك إنهم تم تفويضهم عن الباقين للتفاهم مع الملك، ومعرفة ما يريد.

كانوا يتحدثون الفرنسية فلم يفهم الملك لغتهم، فقالت ماريا أنا أفهم لغتهم وسأترجم لك ما يقولون، فوافق الملك ثم سألتهم ماريا ماذا تريدون؟

فقالوا السلام، نحن لم نؤذِ أحد ونمارس شعائرنا الدينية في هدوء

فقال الملك: أخبريهم إنني أدعوهم إلى نبذ عبادة الأوثان والشيطان، وأدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وإيقاف شعائرهم الغير إنسانية، وإنهم إن لم يتوقفوا عن ذلك سوف آتي بجيوش لا قِبل لهم بها ستحاربهم حتى يتوقفوا عن فعل المحرمات.

فأخبرتهم بما قال الملك، فقال الرجل: سأخبر قومي بما جئتم به، وأرسلوا معي بعض الجنود لأطلعهم على جوابنا على طلبكم.

فأوصلت له ماريا ما قالوا، فأرسل معهم ثلاثة جنود وانصرفوا جميعا. ذهب الملك ومن معه إلى منزل حمزة لانتظار الجواب.

فجلسوا على المقاعد وتناولوا بعض الطعام، وكان محمد يلتقط الصور كلما سنحت له الفرصة، بينما حازم وآدم يسجلون بأصواتهم الأحداث أولا بأول لكيلا ينسون شيئا مما حدث.

مر المساء دون عودة الجنود والملك والقائد قلقون ويخططون للهجوم في الصباح.

أهداف نبيلة

أشرقت الشمس مرسلة نورها الذهبي ليكسوَ الغابة بحلة ذهبية مُوَشّاة بالدفء

باعثة الأمل في النفوس بانقضاء الزمن والعودة للأوطان، بعد تحقيق الأمنيات الكريمة.

استيقظ الوفد الفرنسي والوفد المصري والملك وأعوانه، وتناولوا بعض الخبز والجبن أحضرهم حمزة وآدم قبل استيقاظهم، وتحدث الملك عن الجنود الذين فقدوا، وقال إنها أصبحت مسألة كرامة، ولابد من إعادتهم بالقوة.

فاستأذنه حمزة أن يذهب منفردا ويستطلع الأمر ليقف على الحقيقة، قبل تحرك الجنود فأذن له.

خرج حمزة في طريقه إلى المكان المقرر لاستيطان أهل البلدة وإقامة الشعائر.

وحين وصل وجد الجنود يجلسون مع أهل البلدة ويتناولون الإفطار، فحمد الله، ثم أخبرهم بقلق الملك عليهم.

فقال زعميهم واسمه ماو: نريد معرفة تعاليم دينه، كيف نؤمن بدين لا نعلمه فقط لأن الملك يهددنا؟

يمكنكم القدوم إلى الملك وسماع كل ما تريدون منه، بعد الإفطار عاد حمزة ومعه الجنود وخمسة من الرجال جاءوا لسماع تعاليم الدين.

جلس معهم الملك وأفهمهم أساسيات التوحيد بالله تعالي وحرمة دم المسلم وماله وعرضه، وأنه هو الرازق المنعم على عباده. سمع آدم ومرافقيه ما قال الملك، فقال حازم أليست هذه هي تعاليم الإسلام؟ فكيف لا يعلم بها هؤلاء الناس؟ نحن في زمن العولمة ولا شك أن الإسلام وصل لكل الدول، كما يوجد مسلمين في إفريقيا، فكيف لا يعلمون عنها شيئا؟

آمن الرجال بالله تعالى وبدينه ونشروا تعاليم الإسلام بين قومهم فآمنوا وتوقفوا عن أفعال الجهالة من قتل الأطفال وتقديم القرابين وغيرها، من ثم عاد الملك إلى مملكته سالما سعيدا بإنجازه.

العودة

حجز الوفد الفرنسي التذاكر إلى فرنسا وعادوا في اليوم التالي، كما حجز آدم وفريقه إلى مصر، فقام آدم بكتابة مقال طويل عن كل ما حدث وكيف شاركت ماريا وحازم ومحمد في الرحلة، وقاموا بمساعدته، ودعمت الصور كل ما سجله عن الرحلة وكتب حازم مقالا آخر يوضح تفاصيل العالم بعد عبور البوابة الزمنية، ووصف من خلاله العجائب التي رآها زلم يكن ليصدقها لولا رؤيتها بعينيه.

كانت أصداء المقالات عظيمة، وأثارت ضجة صحفية، توالت خلالها الأنباء عن المكان وعن تفاصيل المهمة الصحفية.

تمت

محتويات الرواية

إهداء..... 4
1- أنثى من قلق 5
البداية..... 6
الرحلة 14
مذكرات فريدة..... 17
العودة إلى مصر 29
في الإسكندرية 32
بحثٌ وتحري 40
علاقات تتكشف 44
عالم من القضايا..... 50
ثورة عارمة 53
قلق بالغ..... 60
فضفضة ومشورة 63
منزل أبي..... 66
عودة إلى موقع الأحداث 70

رحلة غامضة.....88
أسرار المقبرة.....101
نهاية القلق 104
2- رقصات الذبيح.....105
بداية الرحلة 109
كسوف الشمس 112
حمزة.....118
بوابة إلى المستحيل.....126
اللقاء المنتظر 132
المهمة السامية 136
أهداف نبيلة.....143
العودة.....145
محتويات الرواية 146

dewanalarabegypt@gmail.com

01030502390

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.